

اللطائف  
والطب الروحاني  
لأبي الفرج عبدالرحمن بن ابجوزي

تحقيق

عبدالقادر احمد عطا

دار الطباعة المعمورة  
بالأزهر - القاهرة

# رسالة الجوهر في الرد على الجوزي

## المقدمة

مع ابن الجوزي في لطائفه

ابن الجوزي حافظ من حفاظ السنة ، له ثقافة واسعة ، شملت التاريخ والأدب والتصوف المعتدل ، له باع طويل في الوعظ والتأثير والخبرة بمدخل النفوس ، تبدو واضحة تماما في كتاب اللطائف . فهذا الكتاب على صغر حجمه عجيب في بابه ، إذ جمع فنونا شتى من المعرفة ، من علم النفس البشرية ودسائسها ، إلى محاولة لفهم الغيبات ، إلى لون مبسط عميق من الفلسفة ، إلى ضروب شتى من عجائب الخلق الداعية إلى الإيمان ، إلى نظر متدبر في القرآن ، إلى فرائد من تاريخ الصحابة والتابعين وتابعيهم ، إلى باقات رائعة من الأدب والشعر العربي ، إلى سيل من بديع الحلية في البلاغة العربية ، مما يجعله بحق درة فريدة بين تراث العرب المسلمين .

أثر الكتاب في أعيان العلماء :

كان هذا الكتاب على ما يبدو لنا على درجة عظيمة من الشهرة في القرن السابع الهجري ، إذ أن نسخة خطية منه محفوظة بالمكتبة الأزهرية ، كانت قد نسخت في القرن السابع الهجري لأحد الحكام ، وقد عبثت الأيدي التي تناولت المخطوطة باسم هذا الحاكم الذي طلب استنساخها لنفسه ، مما يدل على شهرته آنذاك .

على أن الكتاب قد أوحى إلى الوزير لسان الدين بن الخطيب بكتابه  
« روضة التعريف بالحلب الشريف » ، لأنه ذيل كل فصل من كتابه بفقرة  
من هذا الكتاب عقب قوله : قال أبو الفرج ، ولم يفصح عن اسمه المميز له  
عن آباء الفرج المعروفين بين العلماء .

هذا فضلا عن أن ابن الخطيب تأثر في عرضه لكتابه روضة التعريف  
ب« ابن الجوزي » تأثرا واضحا ، فابن الجوزي يعرض في لطائفه لعجائب الخلق  
في العنكبوت وغيره ، وابن الخطيب يعرض بنفس المنهج لعجائب الأفلاك  
والحنان الموسيقي والعنكبوت ، ثم يقلد أسلوب ابن الجوزي في العرض .  
فيختم كل فقرة من بحوثه بما يناسبها من الشعر العربي الرائق .

ويمكننا بحق أن نقرر أن اللطائف هي النبع الذي انبثت عنه الموسوعة  
الهائلة « روضة التعريف » ، وأن ابن الجوزي كان يسيطر بأسلوبه وعلمه  
وجمال عرضه على آباء المغرب العربي في الأندلس ، وكان يعرف هنالك  
باسم أبي الفرج البغدادي ، ولم يكن « ابن الجوزي » ، علما عليه في الأندلس  
يلغ شهرة أبي الفرج البغدادي ، وقد أشار إلى شهرته تلك لسان الدين في  
أوائل روضة التعريف مما يجعلنا نرجح أن نسخة المكتبة الأزهرية كانت  
قد نسخت لأمير أندلسي ، لأنها اتفقت في اسم المؤلف مع الاسم الذي  
أورده ابن الخطيب .

وشيخ من فحول الشيوخ المسلمين تأثر بابن الجوزي في كتابه هذا هو  
الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي شيخ الدنيا في التحقيق والنظر العميق ،  
والثقافة الواسعة الشاملة الواعية ، وذلك يبدو لنا من وجوه شتى أهمها :

١ - تتلذذ الشيخ الأكبر محي الدين في أول أمره وقبل أن يعرف  
بالشيخ الأكبر ، وأيام صباه على الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وأخذ عنه

الكثير من الحديث ، وارتاد حلقاته ، ونهل من معينه ماشاء الله له أن ينهل ، وأجازه ابن الجوزى بمروياته .

٢ - أثر ابن عربي منهج ابن الجوزى فى مزج علوم الدين بالأدب ، فكما كتب ابن الجوزى فى الأدب كتب ابن العربى مسامراته فى الأدب ، وإن كان شيخه ابن الجوزى قد طرقت موضوعات أدبية . بحجة كما فعل فى كتابه عن شهيرات النساء .

٣ - الإشارات القرآنية التى وردت فى اللطائف ، والتى اكتبها ابن الجوزى فيها بالإشارة إلى جزء من الآية كانت بلاشك بذرة طيبة الثمرات فى كتب الشيخ الأكبر التى أوسعت هذا الباب ، حتى أغلقت على من بعده تماما .

٤ - الإشارات والرموز الواردة فى اللطائف ، والتى تعتبر رموزا صوفية عميقة بسيطة العرض ، كانت أصلا من أصول الرموز البسيطة والمستخلقة فى كتب الشيخ الأكبر ابن عربى .

٥ - ولئن كان الشيخ الأكبر قد تتلمذ فى بداية أمره على مثل الشيخ عبد الحق الإشبلى الخراط ، فإننا لانجد متأثرا مثلا بكتاب العاقبة وكتاب التهجد اللذان أجازه بهما شيخه عبد الحق ، كما تأثر بأبى الفرج ابن الجوزى فى كتاب اللطائف بالذات من دون مؤلفاته جميعا ، كما تأثر بالشيخ من دون شيوخه جميعا ، لأن أبا الفرج عرف بقدرته البارعة على استنزاف الدموع من عيون سامعيه ، وكان الفتى محي الدين من ذوى المواهب الروحية الرقيقة التى تستجيب لعوامل التأثير الغيبية بصورة لم نعهد لها فى رجال المعرفة الإسلامية ولا غير الإسلامية على هذه الدرجة من الحساسية والقوة ، ومن هنا كان تأثره بكتاب اللطائف الذى تقدمه الآن .

ونعتقد أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام هو الآخر قد تأثر بابن الجوزى

في كتابه الصغير الذي وضعه مترجماً عن المعرفة الإلهية على السنة الطيور والأزهار .

كما نعتقد كذلك أن أبا الفرج قد تأثر بمن سبقوه بمن درسوا النفس البشرية والأعيان ودسائسها ، وفقهوا أسرار خداعها ، وغلبوا وسائل تقويمها وملاطفتها حتى تنحل عزيمتها عما أمسكت به من متاع الحياة ، ولذة الشهوات ، وهو ما نجده واضحاً تماماً في كتاب اللطائف .

### كتاب اللطائف :

كان ابن الجوزي واعظاً ، وكانت شخصيته قبل كل شيء على قدر عظيم من القوة ، جعلت الرواة يتناقلون أنه كان يثير الدمع من العيون إذا جلس للناس دون أن ينطق بكلمة واحدة ، وهي سمة لا تنهياً إلا للصالحين الأتقياء المحزونين لآخرتهم ، والذين يرون العاقبة التي تجعل الولدان شيباً رأى العين ، فتنعكس الأحزان على ظواهرهم من قلوبهم ، بحيث تنساب في يسر إلى قلوب الناظرين لغة هي أبلغ من كل مقال ، فتشير كامن الدمع ، وتخلع جوامد القلوب .

ولقد أشار ابن الجوزي في لطائفه إلى أن الناس يتأثرون في مجلسه ، وينخلعون من طريقهم المعوج إلى الجادة التي ينشدها لهم ، ولكنهم لا يلبثون أن يتحولوا إلى أهوائهم وشهواتهم بعد زمن يسير .

وقد أشار في مقدمة كتابه القصيرة إلى أنه آثر منهج الإشارة التي يعمل اكتشاف هدفها في القلب قبل السمع ، فالتعبير بالحقيقة يطرق السمع أولاً ، وقد يجاوز السمع إلى الفراغ المطلق بحيث لا يمس القلب من قريب ولا من بعيد ، أما التعبير البلاغي القائم على التوريات والجناسات

والاستعارات ، وجميع وسائل الخيال الأدبي ، فإن لذة الاستكشاف فيها حقا تتجه بالمعنى نحو القلب والعقل مباشرة ، ثم لا يكون السمع إلا مصدرا من مصادر الاستقبال المتأخرة لا يأبه له البليغ كما يأبه للبدارك الوجدانية المقصودة بالخطاب .

ومن هنا كان ابن الجوزي جيد الإدراك لاستخدام أسرار العربية في التأثير على الناس وفي أداء رسالته كاملة لانقص فيها .

وكان ابن الجوزي يدرك أخلاق عصره إدراكا واعيا ، فاستطاع أن يبرز من مبادئ أهل العصر ألوانا ردد الكلام فيها كالتهاوت على الدنيا ، أو المبادرة إلى الشهوات ، والاستئثار للنفس ونزواتها لاسيما شهوات النساء التي أفرد لها بابا ، وردد الحديث عنها في أبواب أخرى ، والبراعة في أحاديث الدنيا ، والعي عن حديث الآخرة والنفور منه ، والغفلة عن حب الله لعباده ، والانحياز لعدو الله وعدو الإنسان ، إلى غير ذلك من أخلاق البشرية بوجه عام ، وأخلاق العصر بوجه خاص .

ولم يغفل ابن الجوزي أن يضع الإنسان تحت المجهر ، ليتفحص تركيبه من خليط من النور والظلمة ، ويكشف عن البرزخ الفاصل بينهما ، ويرفع من قدر الإنسان على الملائكة بفضيلة الجهاد التي تضعه في مقام الرجولة والبطولة .

كالم يفعل أن يضع يد الناس على مشكلة أبيهم آدم ، فقد سرد قصة الجنة وأسباب طرده منها ، وأحزانه المتوالية ، وتلقيه الكلمات ثم التوبة عليه ، ثم كشف عن الحكمة الإلهية من إهباطه إلى الأرض . وفي الحنين الأدمي إلى أصله وجدان يغني عن الجنات والشهوات .

كما نجد في كتابه هذا يتردد بالإنسان بين الخوف والرجاء ولكنه يغلب جانب الرجاء في فقرات على لسان الحال الإلهي الموجه نحو العباد ، فالعباد

من البشر أقدارهم عظيمة عند الله ، ولا حاجة بالله إلى شيء من خلقه ، والله يفتح باب رحمته لكل سائل ، ولكن الطبع المظلم هو الذى يمنع من وصول الرحمة إلى البشر ، فإذا كان الإنسان فى أصله جوهر آ شريفاً استحق سجود الملائكة ، ثم عرض له عارض انحرف به إلى الرذيلة ، فإن الله يغفر له كل ما وقع فى الوسط إذا أصلح الخاتمة ، فعاد الأول على الآخر .

ومع كل ذلك فهو يؤصل وعى التوبة الحقة ، ويقرر أنها ليست مجرد ترديد لأقوال باللسان ، بل هى ندم محرق ، ونوح متواصل ، وسهر دائم ، ثم يعرض علينا نماذج متعددة من خوف الأنبياء والأولياء فى مختلف العصور .

وهو يندد بالصوفية المدلسين ، ويقرر أن التصوف أصبح بلا مفهوم فى عصره حتى انعكس معناه الأصيل من القلب فصار على ظاهر الجسد ، والقلب منه خواء . فالخيام هى الخيام ولكن السكان ليسوا هنالك .

ونجد ابن الجوزى يردد وصفا للمتريدين فى عزائمهم ، حتى سمى كل من تردد فى إمضاء عزمة ، مخنث العزم ، وهو اختيار طريف يمكن أن يضم إلى أن الإنسان يذوب عمره كالثلج ، والمتردد أبرد من هذا الثلج ، فلا يستجيب لعوامل الطبيعة كما استجاب له الجماد فأصبح مانعا .

وحديث ابن الجوزى عن عجيب صنع الله فى الخلق ينتزع الإقرار بالإيمان انتزاعاً من أعنى القلوب وأصلبها وأجلدها صدوداً عن الحق ، ولا شك فى أن اطلاعه الواسع كان أكبر معين له على ذلك .

ولقد ركز ابن الجوزى على موسى وداود ويعقوب ويوسف وزليخا ولا سيما يعقوب الذى رمز إليه بكنعان الأمل ، وزليخا الهوى ، ويوسف العصمة .

ولقد اتخذ من قصة يوسف ميداناً استنبط منه قواعد السلوك إلى الله ، وأفاعيل النفس الأمارة بالناس ، ونتائج الاستقامة على الطريق ، ونتائج الصبر



على البلية والأعيب الحيانة والحقد بين الإخوة إلى غير ذلك من  
الإشارات التي دقت وسهل فهمها ، ولكنها بلاشك من السهل الممتنع الذي  
لا يمكن تقليده إلا بجهود واستقامة نفس ، ونصاعة سلوك .

فابن الجوزي أديب رائق اللفظ واسع الثروة اللغوية خبير بمواقع  
الكلام ، قادر على إصابة الغرض في يسر وسهولة ، لأنه يفقه ما يقول ، ويعلم  
من يخاطب .

وعلى أي حال فالكتاب درة للواعظ وطالب الأدب ، وطالب السلوك  
وطالب العلم .

أسأل الله به عميم النفع ، وخلص النية لوجهه ، إنه سميع الدعاء .  
عبد القادر أحمد عطا

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## وبه التوفيق

الحمد لله على ما يوليه ، حمدا يرتضيه ، وصلى الله على من اقترنت جميع المعاني فيه ، وقرن اسمه بالحق عند الذكر ويكفيه ، وعلى آله وأصحابه وتابعيه .  
هذا كتاب رقت عباراته ، ودقت إشاراته ، انتثرته عند الإملاء نثرا من فنون ، فهو نصيب أكف لا تلتقط الدون ، طردا على ثوب الوعظ ، وفض خاتم اللفظ يعمل في القلب قبل السمع ، وإلى الله تعالى الرغبة في النفع .

## الفصل الأول

في قوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » .

لا نصفه صفة ، لا يصغه الأول بحكم له مبتدأ ، ولا بالآخر صار له منتهى ، ولا من الظاهر فهم له شبح ، ولا من الباطن تعطل له وصف ، خرس في حضرة القدس صولة اللسان ، وكفت لهيبة الحق كف الكيف ، وعشيت لأنوار العز عين الفكر .

فأقدام الطيب واقفة على حمى التسليم ، جل عن أشباه وأمثال ، وتقدس عن أن تضرب له الأمثال ، وإنما تقع الأشباه والأشكال في حق من له أشباه وأشكال .

المشبه متلوث بقرب التجسيم ، والمعتل نجس بدم الجحود ، ونصيب المحقق من بين فرث ودم لبن خالص . هو المنتزه لأمّ لفعله ، ولا ملء لكونه ، ولا فهم لذاته ، ولا كيف لوصفه ، ليس في صفته ، ولا بما يدخل في أحديته .

من طالع مرآة صمديته دلته على التنزيه ، وعلم أنه لا ينطبع فيها شبح الشريك ولا خيال التشبيه ، تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله فتهلكوا .  
إذا استقبل الرمد الريح فقد تعرض لزيادة الرمد ، جاء البعوض إلى سليمان عليه السلام يشكو من الريح ، فاستحضر سليمان الريح ، فذهب البعوض ، فقال سليمان : إلى أين ؟ فقال : لو كان لي قوة على الثبوت معها ما شكوت .

## الفصل الثاني

### في ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

تخطب القوم في دعوى الشرك ، ففرّ في بادية الهرب ، فتجرى غار حراء للفرّاع فراغ إليه ، فجاء مزاحم اقرأ ياراهب الصمت ، تكلم لسان العجز البشري « لست بقارىء » ، أنا بالأمس في حجر حليلة ، ودخلت بموت أبي في كفالة أبي طالب ، فحُسم لما حُسم ، فزمزم بلفظ زملوني ، فعاد لطف اللطف فبعث الراقد « يا أيها المزل ، قم » . فماركن .

ياحمولا عليه ثقل قم ، يامن خلع عليه خلعة « قم فأنذر » ، ومن تحركت لتعظيمه السواكن ، فحن إليه الجذع ، وكلبه الذئب ، وسبح في كفه الحصا ، وتزلزل له الجبل (١) .

كل كنى عن شوقه بلسانه

عجب القوم من علو منزلته ، وقالوا بلسان الحسد : « لولا نزل هذا القرآن ، (٢) والقدر يقول : ما هذا التعجب من نخلة بسقت والأصل نواة ، ألم نخلقكم من ماء مهين » .

---

(١) وقف النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان على جبل أحد ، فتزلزل فقال صلى الله عليه وسلم : « اثبت أحد نبي وصديق وشهيدان » .  
(٢) إشارة إلى قول السكفار في مكة : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القرينتين عظيم » .

قوى عليهم كد الحسد فرأوه بعين العبيد ، فقال مجنون .. يا محمد ، هذا  
نقش فص بصرهم ، لا لون وجهك .

يا جملة الجمال ، يا كل الكمال ، أنت واسطة العقد ، وزينة الدهر ، تزيد  
على الأنبياء زيادة الشمس على البدر ، والبحر على القطر ، والسماء على الأرض .  
أنت صدرهم وبدرهم ، وعليك يدور أمرهم ، أنت قطب فلكنهم ، وعين كتبهم ،  
وواسطة قلاذتهم ، ونقش فصهم ، وبيت قصدهم .

شمس ضحاها ، هلال ليلتها . عروس مقاصيرها ، الخلائق أشخاص ،  
والأنبياء قلوب ، ونبينا عليه الصلاة والسلام سرهم .

لما أخذ في سير أسرى ، فنقل إلى المسجد الأقصى ، خرج إليه عبّاد  
الأنبياء من صوامعهم ، فاقتدوا بصلاة راهب الوجود ، لو كان موسى وعيسى  
حين (١) ! أمشطها عنك يا عمر ، أمع الشمس سراج ؟

الأنبياء كرمضان الصوم ، وشرح نبينا يوم العيد ، عرضت عليه الجنة  
والنار حتى عرف الطيب العقاقير قبل تركيب الأدوية ، فلّ غرب سيف  
أتمجّل فيها (٢) . ليلة المعراج ظنت الملائكة أن الآيات تحتص بالسماء ،  
فاذا آية الأرض قد علت .

ليس العجب ارتفاع صعودهم (٣) لأنهم ذوّوا أجنحة ، إنما العجب  
لارتفاع جسم طبعه الهبوط بلا جناح جسدي .

كان جبريل دليل الفلاة ، فلما وصل إلى مفازة ليس فيها علم ، علم أن  
الصدق أجود ، فقال : ها أنت وربك ، وقع في بادية القرب ، فأمر حيث

(١) أى لو كان موسى وعيسى لآمنا به وصاروا من أتباعه .

(٢) أى لم يعد مكان لقول الملائكة أتمجّل فيها من يفسد فيها وآدم يحمل في

صاحبه محمدا صلى الله عليه وسلم صيد المصلحين .

(٣) يعنى الملائكة .

هية التعظيم أن أخرس لسان الطبع ، فقال دلا أحمى ثناء عليك ،  
 كادت الهية تليه ، لولا أنه تدورك برش ماء دالسلام عليك ، .  
 فإذا قامت القيامة فوسى صاحبه ، وعيسى حاجبه ، والخليل أمير جنوده ،  
 وآدم ينادى بلسان حاله : يا ولد صورتي ، ويا والد معنای .

## الفصل الثالث

### في آدم عليه السلام

إياك والذنوب ، فإنها أذلت أباك بعد عز دالسيجدا ، وأخرجته من  
 أقطار دالاسكن ، (١) .

مذ سبي الهوى آدم هوى

دام حزنه ، فخرج أولاده العقلاء محزونين ، وأولاد السبايا أذلة ، أعظم  
 الظلمة ماتقدمها ضوء ، وأصعب الهجر ماسبقه وصل ، وأشد عذاب المحبوب  
 وقت القرب ، كان حين إخراجهم لآتمشي قدمه ، والعجب كيف خطا .

وتلفتت عيني فذ حفت عني الطلول تلفت القلب

يا عجبا ! جبريل بالأمس يسجد له ، واليوم يجر بناصيته ، والمذنب يقول  
 ارفق بي .

ياسائق البكرات استبق فضلها على العذيب فظهر البكر معقور (٢)

مانضب ماء عينه ، فما نزل من مائها يجرى على خد الآسى لأيام الوصال ،  
 واللسان يقول : يا ويلتاه ! والقلب ينادى : يا لهفاه !

(١) يعني دالسيجدا لآدم ، ودالاسكن أنت وزوجك الجنة ، .

(٢) البكر الجمل العظيم .

من معيد أيام جمعي على ما كان منها وأين أيام جمعي  
طالب بالفراق ينشد هي هات زمانا بالجزمي  
كم قصة غصّة بعثها مع بريد السر ، لا يدري بها سوى القلب ، مكسونها  
التأسف ، وضميرها التلهف .

ألا يانسيم الريح من أرض بابل<sup>(١)</sup> تحمل إلى أهل العراق سلامي  
وإني لأهوى أن أكون بأرضهم على أتى منها استفدت سقامي  
أخذت صعدا أنفاس آدم من ذكر وعصى<sup>(٢)</sup> ، تحرقه ، لولا تدارك  
الحريق بمياه «فتاب عليه» .

حملوا ربح الصبا نشركم قبل أن تحمل شيئا وثماما  
كان كلما عاين الملائكة تنزل من السماء تذكر المرتع والمربع ، فتأخذ  
العين في إعانة الحزين .

رأى بارقا من أرض نجد فراعته فبات يسح الدمع وجدا على وجد  
فياشجرات القاع من بطن وجرة سقاك هزيم الودق مرتجس الرعد  
كان عند رؤية الأملاك ، ويذكر إقطاعه الأملاك ، فيكاد يأس ، فيجعل  
الرجاء يأسا ، ثم قام بعد مراكب المنى يمشى إلى أرض منى ، فلو لا تلقى  
الكلمات مات .

هل الأعصر اللاتي مضين يعدن لي كما كن لي أم لاسيل إلى الرد  
واعجبا لقلق آدم بلامعين على الحزن !! هوام الأرض لا تفهم ما يقول ،  
وملائكة السماء عندها بقية «أجعل فيها» فهو في كربته بلا رحيم .

(١) يريد النسيم الساحر من بابل أرض السحر القديم .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى «وعصى آدم ربه فغوى» .

ألا رحيم من آل ليل فأشكو ما بقلي حتى يكل لساني  
بكاء آدم لفراق الجنة لا كباء غيره .

وكانت بالعراق لنا ليال سرقناهن من ريب الزمان  
ما كان هذا القلق لنفس الدار ، بل لأجل رب الدار  
وما بي البان ، بل من داره البان

صحي مضوا فدا معي منهلة في إثر صحي  
ما فوق الهجران سهما فأنثني عن قصد قلبي  
كلا ولا نادى الجوى إلا وكنت أنا الملبى

قال وهب بن منبه : سجد آدم على جبل الهند مائة عام يبكي ، حتى جرت  
دموعه في وادي سرنديب ، فنبت من دموعه الدارصيني والقرنفل ، وجعلت  
طيور الوادي طواويس ، ثم جاءه جبريل عليه السلام فقال : ارفع رأسك ،  
قد غفر الله لك ، فرفع رأسه ، ثم أتى البيت فطاف أسبوعا ، فما أتمه حتى  
خاض في دموعه :

دموع عيني مذ قد جسد بينهم هن الدوالي أو هن الدوالي (١)

كان آدم يعقوب البلاء ، جرى القضاء بزلله ، فما ذنب اللقمة .

ولكن ظفرتهم بالمحبين فاقتلوا

قدح أريد كسره ، فسلم إلى مرتعش ، دلوم تذبوا ، وأعجا اكان يبكي  
لدار مرة ، وللجبار ألفا ، والفراق يقلقل ، والبعاد يزلزل .

وإني لمشتاق إلى طيب وصلكم كما اشتاق نحو الدار من طال بعده  
سأبكي الدما شوقا إلى ساكن الحى فأفنى به كئز اصطبار ذخرته  
ولم أبك بعد الدار عنى وإنما بسكيت لصبر كان لي فعدمته

(١) الدوالي الأولى يعنى السواقى ، والثانية تعنى أن البكاء دواء له . جناس

## الفصل الرابع

### في وصف الربيع

إذا تأملت (١) الأرض من زوج القطر ، ووجده لفقده مس الجذب ،  
أخذت في لبس ثياب «وترى الأرض هامة» .

فإذا قوى فقر الفقر ، مد أكف الطلب ، يستعطي زكاة السحاب ؛ فساق  
الصانع بعلايسقي بعلا ، فثارت للغياث مثيرة ، فجاء الغيث بلامشيرة «فسقناه  
إلى بلد ميت ، وتأثير صناعة المعلم في البليد أعجب .

فليس الجومطرقة الأدكن ، وأقبلت خيالة القطر شاهرة سيوف البرق ،  
فأخذ فراش الهوى يرش خيش النسيم ، وباحت الريح بمكتوم المطر ،  
فاستعاد السحاب جفون العشاق ، وأكف الأجواد ، فامتلات الأودية أنهارا ،  
كباشستها يدالنسمة حكي سلسا لها سلسل الفضة . فالشمس تسفر وتنتف (٢) ،  
والنعام يرش وينسكب ، فلها وقعت شمس الشتاء في الطفل ، نشأ طفل الزرع ،  
فارتبع الربيع أوسط بلاد الزمان ، فأغار الأرض أثواب الصبا ، وروح  
كربها بنسيم الصبا ، فاتتهت عيون النور من سنة الكرى ، ونهضت عرائس  
النبات ترفل في أنواع الحلل ، فكأن عين النرجس عين ، وورقه ورق (٣) ،  
فالشقائق تحكي لون الخجل .

فالشقائق تحكي لون الخجل ، والبهار يصف حال الوجل ، والنيلوفر يغفو

---

(١) الأيم التي لا روح لها .

(٢) يعني تغييب وراء السحاب .

(٣) عين النرجس عين يعني زهرة النرجس كأنها عين إنسان ، والورق بضم

الواو نوع من الخمام .



وينتبه ، والأغصان تعتنق وتفترق ، والأرايح قد بثت أسرارها إلى النسيم  
فتم ، فاجتمعت في عرس التواصل فنون القيان<sup>(١)</sup> ، فعلا فن على فن ، فتطارت  
الأطيّار مناظرات بالسجوع ، فأعرب كل بلغته عن شوقه ، وعبر كل بلسان  
حاله عن ترقه<sup>(٢)</sup> ، فالحمام يهدر ، والبلبل يخطب ، والممكاه يغرد ، والأغصان  
تتميل ، كلها تشكر عقدة النكاح ، فينثذ تجد خياشيم الشوق ضالة وجده .

لي بذات البين أشجان	جدا من أجلها البان
جدا رياه يوقظه	من نسيم الفجر ريعان
جدا ورق الحمام إذا	رنحتها منه أغصان
داعيات بالهديل لها	فيه أسجاع وألحان
أعجميات إذا نطقت	ليس إلا الشوق تبيان
كلها غنيتي هزجا	هاجني للذكر أحزان
مال بي ميل الغصون بها	طربني فالكل نشوان
ياحمام البان يجمعنا	وجد نام إذ نحن جيران
تحن بالشكوى إلى فسا	بين أهل الشوق كتمان
يتشاكى الواجدون جوى	واحدآ والوجد ألوان
أنا مخلوس القرين <sup>(٣)</sup> وأد	تن أزواج وأقران
وبعيد الدار عن وطني	ولكن البان أوطان
ألا من دام لي أكامه	والهوى سر وإعلان
لا ترد بي لاعنول جوى	أنا بالأشواق حيران

(١) القيان : الجوارى المغنيات .

(٢) التوق : الشوق .

(٣) أى مفارق لقرينه وحبيبه .

## الفصل الخامس

فيه إشارات عن حال سلمان الفارسي رحمه الله تعالى

سابقة الأزل قضت لقوم بدليل «سبقت»، وعلى قوم بدليل «غلبت»،  
فوا أسفاه، أين المفر.

توفيق سبقت نور قلوب الجن فقالوا: «إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدي إلى  
الرشد»، وخذلان غلبت أعشى قلوب قريش فقالوا: «أساطير الأولين»،  
أهل الشمال في جانب جنوب البعد، وأهل اليمن في مهب شمال القرب،  
مانفعت عبادة إبليس وبلعام، ولا ضرر عناد السحرة.

وحدس ومارآي الرسول، وكفر ابن أبي<sup>(١)</sup> وقد صلى معه في المسجد.  
ليس مع الضب رى يكفيه ولا ماء، والسمة غائصة في الماء ولا رى.  
دخل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيت يهودى يعود، فقال له:  
«أسلم تسلم»، فنظر المريض إلى أبيه، فقال: «أجب أبا القاسم، فأسلم».  
كان في البيت غريبا مثل «سلمان منا»، فصاحت السنة المخالفين: ما محمد  
ولنا؟ ولسان الحال يقول: مريضنا عندكم.

كيف انصرفنى ولى فى داركم شغل

المناسبة بيته ما بين الأشخاص، فاحتمل موسى مرارة الغربة في دار فرعون،  
وإن كان في آسية ما يسلى، غمير أن حق الأم أحق. فضرب على فيه

(١) هو قس بن ساعدة الخطيب الجاهلى الذى أعلن فساد عبادة الأصنام فى  
عكاظ، وابن أبي بن سلول وهو عبد الله زعيم المنافقين.

فدام<sup>(١)</sup> ، وحرمتنا ، فدام إلى أن أمته الأم بحق ، فضرب عود العود عند اجتماع الشمل .

سلام عليكم كيف حالكم بعدى  
وهل عندكم من لوعة الشوق ما عندى

سبق العلم بنبوة موسى ، وإيمان آسية ، فسبق تابوته إلى بيتها ، فيه طفل منفرد عن أم ، إلى امرأة خالية عن زوج .  
قرينان مرتعنا واحد

لما قضيت في القدم سلامة سلمان ، حملته صبا الصبا نحو الدين ، كان أبوه على اعتقاد الجوس ، فعرج به دليل التوفيق إلى دير النصارى ، فأقبل يناظر أباه في دين قد أباه ، فلم يكن لأبيه إلا القيد ، وهذا الجواب المرذول .  
قديم من يوم : « أنا أحبي وأميت ، ثم نكسوا ، فقالوا : « حرقوه ، فنزلت في البداية ضيف « ولبلونكم ، .

لولا ما كابدة البلاء ما نيلت « رب أشعث أغبر لو أقسم ، فسمع أن راكبا على نية السفر ، فسرق نفسه من حرز أبيه ولا قطع ، فركب راحلة العزم يرجو إدراك مطلب الغنى ، غاص في قعر بحر البحث ليقع بدره الوجود .  
فصاح به الهوى : إلى أين ؟ فقال : « إني ذاهب إلى ربي ، .

وقف نفسه على خدمة الأدلاء وقوف الأذلاء ، فلما أحس الرهبان بانقراض دولتهم زودوه في سفره إلى طلب علم الأعلام ، على أمارات نبينا عليه السلام ، وقالوا : إن زمانه قد أطل ، فاحذر أن تضل ، وإنه يخرج بأرض العرب ، ثم يهاجر إلى أرض بين حرتين ، فلورأيته ! ؟ قد افتلى الفلا وحادى الشوق له سوق ، والحنين يزججه ، والتلف يقلقه .

وأبغضت فيه النخل والنخل يانع  
وأعجبنى من حبك الطلح والفضال  
وأهوى لحبيك السماوة والغضى ولو أن صنفيه وشاة وعذال

رحل مع رفقة لم يرفقوا به « فشروه بثمان بخس » ، اشتراه يهودى  
بالمدينة فأنجبر انكساره فيه بإنعام « سلمان منا أهل البيت » ، وتوقد شوقه  
برؤية الحرتين ، وما علم المنزل يوجد التازل .

أيدرى الربع أى دم أراقا وأى قلوب هذا الركب شاقا؟  
لنا ولأهله أبدا قلوب تلاقى فى جسوم ماتلاقى

فينا هو يكابد ساعات الانتظار ، جاء البشير بقدم الرسول ، وسلمان  
فى رأس عذق نخلة فكاد العذق يلقيه ، لولا أن الحزم أمسكه ، كما جرى يوم  
« إن كادت لتبدى به » .

ثم عجل النزول ليلقى ركب البشارة ، وأى ثبات بقى ليعقوب فى حال  
« إني لأجد » .

خليلي من نجد قفابى على الربا فقد هب من تلك الرسوم نسيم  
فصاح المالك : مالك؟ وهذا : انصرف إلى شغلك .

كيف انصرافى ولى فى داركم شغل

ثم أخذ يقربه ، وأخذ لسان الشوق يترنم ، لوسمعه الأطروش :  
خليلي ، لا والله ما أنا منكما إذا علم من آل ليلي بدا ليا  
فلما لقي الرسول ، عارض نسخة الرهبان بكتاب الأصل ، فوافق ، ورافق .

## الفصل السادس

سفر الليل لا يطيقه إلا مضمحل الجماعة ، فأما الشبح فإنه يجمع جنود  
السكسل ، فيتشبت بذيل التواني ، ويزين حب النوم ، ويزخرف طيب  
الفراش ، ويخوف برد الماء ، فإذا ثارت شعلة من نار الحزم أضاءت لها  
طريق القصر ، فسمعت أذن اليقين هاتف : « هل من سائل » .

فقلت أفرش خدى فى الطريق له  
ذلا وأسحب أذبالا على الأثر

نفس المحب فى الليل على آخر نفس ، وفى المعذبين بقية وهم يستغفرون ،  
صراخ الأطفال غير بكاء الرجال ، سهر الليل هودج الأحباب ، يوقظ  
نسيم الأسحار أعين ذوى الأخطار ، فلورأيتم ؟

وقد لاحت الجوزاء ، وانحدر النسر

قد افترشوا بساط قيس ، وباتوا بليل النابغة (١) ، إن ناموا توسدوا  
أذرعاً لهم ، وإن قاموا فعلى أقدام القلق ، كأن النوم حلف على جفا أجفانهم .

هذا رضاك نبي نومي فأرقني فكيف يافاتني لو كنت غضبانا

ما أزالو مطايا الأقدام ، إلى أن نم النسيم بالسحر ، وقام الصارخ ينيق  
الظلام ، فلما تمخض الدجى يحمل السحر تساندوا إلى رواحل الاستغفار .

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا فقوالوا لنا : ما أقصر الليل عندنا

---

(١) تورية بقول النابغة الذبياني وقد خاف من تهديد النعمان بن المنذر :  
فبت كأن العائدات فرشن لي هراسا به يعلى فراشي ويقشب  
الهراس : الشوك الدقيق . يقشب : يخلط .

رياح الأبحار أتوات الأرواح . دقت .. فراقك .. فبردت حر  
الوجد ، وبلغت رسائل الحب .

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد  
لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

مكروب الوجد مرتاح للنسيم وإن قلق قلبه .

بين شمال وصبا حن شوق وصبا  
ولم تزده نفحات الأ نس إلا وصبا (١)

عبارة النسيم لا يفهمها إلا مشتاق ، وحديث البروق لا يروق إلا للعشاق .  
ومرئح فطن النسيم لوجده فروى له خبر العذيب وبارق  
خلوا بالحبيب بدار المناجاة ، فكساهم ثياب المواصلتة ، وضمخهم بطيب  
المعاملة ، وغالية السحر غالية (٢) ، يصبحون وعليهم سيما القرب .

تفوح أرواح نجد من ثيابهم

فتأسف يا جيفة النوم ، وابك يا عريان الغفلة ، أتدرى كيف مر عليهم  
الليل ؟ ألك علم بما جرى للقوم في حبس الرقاد ؟ . فك عنهم السبحان قيد  
الكرى بين النوح ، حتى استقر بالقوم المنزل ، فقام يتلمح الآثار على باب  
الكوفة ، والقوم في شرعوا في الإحرام .

من يطلع شرفا فيعلم هل روح الرعيات بالإبل  
أم قعقت عن الخيام أم از تفتت قبابهم على النزل  
أم غرد الحادى بقافية منها غراب البين فى وجل

(١) الوصب : شدة الألم .

(٢) غالية الأولى تعنى وعاء المسك ، والثانية بمعنى نفيسة .

كان حسان بن أبي سنان يخادع امرأته حتى تنام، ثم يخرج عن الفراش إلى الصلاة .

جری حبه مجرى دمی فی مفاصلی      فأصبح لی عن کل شغل به شغل  
كأن سواد الليل يعشق مقلتي      فيبينهما فی كل هجر لنا وصل

كانت أم الربيع بن خيثم إذا أرادت أن تقلقه بالليل تقول : يا بني ،  
لعلك قتلت نفسا (١) ، فيقول : نعم قتلت نفسي ، وقالت أم عمر بن المنكدر  
لابنها : يا بني ، أشتهي أن أراك نائماً ، فقال : يا أماه ، من جن عليه الليل وهو  
يخاف البيات حق له ألا ينام ، يا أماه ، إن الليل ليرد على فيهولني ، فينقضني  
عني وما انقضى أربي .

ذق الهوى ، وإن اسطعت الملام لم

قيل لبعض الزهاد : ارفق بنفسك ، فقال : الرفق أطلب .

كان أمية الشامي يبكي في المسجد وينتحب حتى يعلو صوته ، فأرسل إليه  
أمير البلد : إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك ، وارتفاع صوتك ،  
فلو أمسكت قليلا ، فقال : إن حزن القيامة أورتني دموعا غزارا ، فأنا  
أستريح إلى درها أحيانا .

باللوم فيك ينصحوني      والنصح خيانة اللواتم  
المقعد والمقيم عندي      ما دمت على الصدق دائم  
مالي أجد الحمام أني      ناحت بأرائها الحمام  
كم صح على السلو عزمي      والحب يحلل العزائم

غيره :

وكم من حديث قد خبأت إلى اللقا

فلا التقينا صرت أحرص الكنا

(١) المعروف في كتب الطبقات أنها كانت تلومه بهذا القول على كثرة بكائه .

## الفصل السابع

### في التوبة

يامؤخر التوبة بمطل التسوية «لأى يوم أجلت» ؟ . كنت تقول :  
إذا شئت تبت ، فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت ، لو كان لسيف عزمك  
جوهر به تغل ؟ ! يموت الهوى تحت ظبية طرب السيف ، كل يوم تضع  
قاعدة إنابة ولكن «على شفا جرف» . كلها صدقت لك في التوبة رغبة  
حملت عليها جنود الهوى حملة فانهمت .

ويحك !! تعطر بالاستغفار فقد فضحتك روائح الذنوب .. اذبح حنجرة  
الهوى بسكين العزيمة ، فإدام الهوى حيا فلا تأمن قلب قلبك .  
اجعل بكائك في الدجى شفيعا في الزلل . . فزند الشفيح يورى  
نار النجاح .

اكتب بمداد الدمع حسن الظن إلى من يحققه ، فلا نفع في توبتك  
إلا بمكابدة حزن يعقوب . أو بصبر يوسف عن الهوى . فإن لم تطق فبذل  
إخوته يوم «تصدق علينا» (١) .

يامعسر الأقدام ، هذى مشاعل القبول . . يافارغ البيت من التوت هذه  
أيام اللقاط . . يامهجور كنعان (٢) متى تجد ريح يوسف ؟ . يامسجون قصر  
مصر (٣) متى يرى الملك سبع بقرات ؟ . يابنيامين الفراق متى نغيات :  
«أنا أخوك» ، يادائم الزلل ، متى تصنع حبيب .

(١) قالوا له ذلك حينما احتجز أخاه منهم بدعوة سرقة صواع الملك .

(٢) مهجور كنعان كناية عن يعقوب .

(٣) كناية عن يوسف .



اليوم عهدكم فأين الموعد هيات ، ليس اليوم ، عهدكم غد  
إذا وقعت عزيمة الصدق في قلب العبد الثابت ، رضى الملك ، فأنسى  
الملك ما كتب ، فأوحى إلى الأرض : اكتبى على عبدى .

قتل رجل منكم مائة نفس ، ثم خرج تائبا ، فأدركه الموت ، فاخصمت  
فيه ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب فبعث الله ملكا يحكم بينهم فقال :  
قيسوا ما بين القريتين ، فأوحى الله إلى هذه : أن تباعدى ، وإلى هذه أن  
تقاربنى ، فوجد أقرب إلى قرية الخير بشبر ، فغفر له ، والحاكم والخصوم  
لا يعرفون سر ذلك ، كذلك كدنا ليوسف .

إذا صدق التائب أحببناه ، وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ، يامعاشر  
التائبين أوفوا بالعقود ، أنظروا من عاهدتم . « ولا تنقضوا الأيمان بعد  
توكيدها ، فإن زللتم من بعد التقويم ، فارجعوا إلى دار المداراة ، فإن الله  
لا يمل حتى تملوا .

عودوا إلى الوصل	عودوا	فالهجر	صعب	شديد
كننا وكنتم جميعا . . .	فأين	تلك	العهود	
تذكرونا فما عم	دنا	لديكم	بعيد	
هل يرجع البان يوما	وهل	تعود	زرود	

## الفصل الثامن

### فى النفس

يامقهورا بغلبة النفس صل عليها بسوط العزيمة ، فإنها إن عرفت جدك  
استأمرت لك ، وأمنعها لذيد مباحها ، ليقع الاصطلاح على ترك الحرام ،  
فإن صبرت على ترك المباح «فأما منابعد وإمافداء ، الدنيا والشيطان خارجان

عنك ، والنفس عدو مباطن ، ومن أدب الجهاد «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار» .

إن مالت إلى الشهوات فاكبحها بلجام التقوى، وإن أعرضت عن الطاعات فسقها بسوط المجاهدة ، وإن استحلقت شراب التواني ، واستحسننت ثوب البطالة ، فصح عليها بصوت العزم ، فإن رمقت نفسها بعين العجب فذكرها خسارة الأصل ، وإنك والله ما لم تجد مرارة الدواء في حلقك ، لم تقدر على ذرة من العافية في ذلك .

قد اجتمعت عندك جنود الهوى، في تيه النفس ، فأحكمت حصن البطالة، فيا جنود التقي ، جردوا سيوف العزائم ، وادخلوا عليهم الباب .

النفس مثل كلب السوء ، متى شبع نام ، وإن جاع يبصص (١) ، الحر يلحا ، والعصا للعبد .

كان أحد السلف إذا قهر نفسه بترك شهوة ، أقال يهتز اهتزاز الرامي إذا قرطس . إذا قوى عزم المجاهدة ، لأن له الأعداء بلا حرب ، لما قويت مجاهدة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تعدت إلى كل من تعدى ، فأسلم شيطانه ، اللهم دلنا على قهر نفوسنا التي هي أقرب أعدائنا إلينا ، وأكثرهم نكاية فينا .

يا هذا ، بدل اهتمامك لك ، باهتمامك بك ، واسرق منك لك ، فالعمر قليل ، تظالم إلى ربك منك ، واستنصر بخالقك عليك ، أمرك بالجد وأنت على الصد ، أبدا تفر من طريق نجاحك ، تطلب نيل العمل ، وما ارتضيت درجة المجاهدة .

أتروم الحصاد ولم تبذر؟ لولا إيثار يوسف «السجن أحب إلى» ما خرج إلى راحة «مكتنا» .

(١) يعني حرك ذنبه طلبا للطعام .

رب خفض تحت السرى وغنى من عنا ونضرة من شوب

لما قوم المؤمنون أنفسهم بالرياضة وقع عقد « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، والنفس إذا لم ترض عَضت ، لأنها كلب عقور ، وإنما يراد ( كلب ) الصيد لا العضوض .

ويحك ! الأعضاء كالسواقي ، والمياه النجسة تؤثر في البحار ، أنت تستفتح النهار بإخلاق جوارك في صيد اللهو ، فإذا جاء حين الصلاة نعتت بها ، وليست معلبة ، فلا تجيب . هيهات أن يخشع طرف ما قومه محتسب (١) بغضوا ويحضر قلب ما حوفه « يعلم السر وأخفى » .

الناس من الهوى على أصناف هذا نقض العهد وهذا وافي  
هيهات، من الكدور يبقى الصافي ما يصلح للحضرة قلب جافي

## الفصل السابع

### في الدنيا

أنت في حديث الدنيا أفصح من سبحان وائل ، وفي ذكر الدار الآخرة أعيان باقل ، تقدم على الفاني ولا إقدام ابن معد يكرب (٢) ، وتجن عن الباقي ولا جبن حسان (٣) .

ويحك !! إنما معجب الدنيا من لافهم له ، كما أن أضغاث الأحلام تسر

(١) المحتسب موظف في الدولة الإسلامية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، كان يسمى : مائق زبيد لشراسته

على الطعام .  
(٣) هو حسان بن ثابت رضى الله عنه ، لم تمكن له شجاعة على الحرب .

النائم ، لعب الخيال ، يحسبه الطفل حقيقة ، فأما العاقل فلا يغير .  
كم أتلفت الدنيا في مبدأ طلبها ، وكم عاقت عن وصول بلد الوصل . كم  
ساع سعى إليها سعى الرخ (١) رذته معكوسا رد الفرزان .

يا أبناء الدنيا ، إنها مذمومة في كل شريعة ، والولد عند الفقهاء يتبع الأم ،  
متى ننت الجسم من الحرام فمكاسبه كزيت بها يوقد .

عمر مع كاله يقول : يا حذيفة ، هل أنا منهم (٢) ؟ وأنت آمن مع ذنوبك  
إذا كان بنيامين نسب إلى السرقة فأى وجه لخلاص يرجى ، رؤى عمر بعد  
موته بائني عشرة سنة . فقال : الآن تخلصت من حسابي .

واعجبا !! أقيم للحساب أكثر من سنى الولاية ، أفتنتبه لهذا يراقده الهوى .  
يامتلطخا بأقذار الظالم بادر الغسل عن مد الصفو قبل أن تحرم ، لا يغيرك  
عيش أحلى من العسل ، فالمحاسة أمر من العلقم ، ستعلم أيها الغريم قدر  
غريمك ، إذ يلتقى كل ذى دين وماطله .

الحجر المغصوب فى البناء أساس الخراب ، ليت الحلال يسلم ،  
فكيف الحرام .

كان لبان يخالط اللبن بالماء ، فجاء سيل فأهلك الغنم ، فجعل يبكى ويقول :  
اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا ، ولسان الجزاء يناديه : يداك أوكتا ،  
وفوك نفخ .

كم بكت من بغى الظالم عين أرملة ، واحترقت كبد يتيم ، وليعلمن نبأه  
بعد حين ، ، يا عجبا من الظلمة ، كيف ينسون طى الأيام سالف الجبارة ،  
وما بلغوا معشار ما آتيناهم .

(١) طائر عظيم له مقدرة فائقة على الأسفار البعيدة .

(٢) حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كان يعرف أسماء المنافقين على عهد النبي

صلى الله عليه وسلم .

أما شاهدوا حالهم؟ « فكلما أخذنا بذنبه ، أما رحلوا على أكوار الندم  
« فبابكت عليهم السماء والأرض ، أما صاح بهم هاتف الهرم : « كم تركوا من  
جنات وعيون . »

يا عجبا للمغترين !! ( وقد خلت من قبلهم المثالات ) ، ، أما يكفيهم من  
الزواج : « وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، ؟ من لهم إذا طلبوا وقت الفوت  
القيود ، « وحيل بينهم وبين ما يشتهون . »

دار دارت بنعم النعم ، دارت عليها دوائر النقم ، « فجعلناها حصيداً  
كان لم تغن بالأمس . »

يا معشر الظلمة ، سليمان الحكم قد حبس آصف (١) العقوبة ، في سجن  
( فلا تعجل عليهم ) وأطلق رخاء الرخاء ، لثلا يكون للناس حجة ( ولقد  
هبت سموم الجزاء من مهب ( ولئن مستهم نفحة ) ، تقلقت سكرات ( إنما  
نملى لهم ) ، ( فلا يستطيعون توصية ) .

فالحذار الحذار ( أن تقول نفس يا حسراتاه ) ولات حين مناص .

أبى في موسى الزجر ( أفنضرب عنكم الذكر صفحا ) سفينة التقى تحتاج  
إلى إحكام تام ، واللحم (٢) منافذ صغار في مواضع الدر ، فأحكم تلك البقاع  
بقار الورع (٣) . هيهات ، قد خرقتها بالكبائر ، وما تنبهت لما صنعت حتى  
يصيح نوح الآسا : ( لا عاصم اليوم ) لهؤلاء .

فناقش العدل إذا لم ينتزع شوك الظالم أثر ، مالم يؤمن تعديه إلى القلب  
لانغربه ، وافي سكر القدرة ، فصاحب الشرطة بالمرصاد .

---

(١) آصف بن برخيا الذي كان عنده علم من الكتاب وعرض على سليمان أن  
يأتيه بعرش بلقيس في لمح البصر .

(٢) اللحم : الصغائر من الذنوب .

(٣) الورع : ترك ما فيه شبهة مخافة الوقوع في الحرام .

ويحكم !! لا تحمقوا دعاء المظلوم ، فشرز نار قلبه محمول بزئج دعائه إلى سقف بيت الظالم ، نبله غرب لأنصرنه ولو بعد حين ، شهم سهمه الإصابة.

وقد رأيت وفي الأيام تجريب

## الفصل العاشر

إخواني ، ارفضوا الدنيا ، فقد رفضت من كان أشغف بها منكم ، اتعضوا بمن كان قبلكم قبل أن تتعض بكم . الدنيا خمر ساعدها تغريد الطبع ، فاشتد سكر الشراب ، ففات موسم الربح ، ثم بعد الإفافة يقام الحد ، فيقيم قائم الحزن ، ويكفي في ضرب الأمثال موت الجيران ، فإذا ماتوا انتبهوا .

ويحك !! إن الموت حساب ، والشيب وبله <sup>(١)</sup> ، ومن بلغ السبعين اشتكى من غير علة ، والعاقل من أصبح على وجل من قريب الأجل .

يا هذا ، الدنيا ورامك ، والآخرة أمامك ، والطلب لما ورامك هزيمة ، وإنما العزيمة في الإقدام ، جاء طوفان الموت فاركب سفينة التقى ، ولا ترتفق كنعان الأمل .

ويحك !! انتبه لاغتنام عمرك ، فكم يعيش الحيوان حيوان الأسقام ، تزعج الأبدان فلا بد من النحول ضرورة ، كأنك في لحدك على فراش الندم ، وإنه والله لأخشن من الجنديل ، فازرع في أرضك قبل جدوثة أرض شخصك . وادخر من قوت قدرتك قبل زمان عمرك ، واعتبر رحلك قبل رحيلك مخافة الفقر اللازم في الفقر .

الحدار الحذار ( أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ) .

(١) الوبل : أوائل المطر .

الحازم يتردد لما به، شجرة الحزم أصلها إحكام النظر ، وفروعها المشاورة  
في المشكل ، وثمرتها انتهاز الفرص ، وكفي بذهاب الفرصة غصة .

وكم فرصة فاتت فأصبح ربها  
يعض عليها الكف أو يقرع السنا

واعجبا ! المضيع العمر في التواني ، فإذا جاء متقاضى الروح قال : إني  
تبت الآن ، ( وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ) .

يارابطا مناه بخيط الأمل ، ألا إنه ضعيف الفتل ، لو فتحت عين التيقظ  
لرأيت حيطان العمر قد تهدمت فبكيت على خراب دار الأمل ، جسمك  
عندنا ، وقلبك على فراسخ ، لا بالتسويق ترعوى ، ولا بالتخويق تستوى  
ضاعت مفاتيحي معك .

## الفصل الحادى عشر

### خوف السابقة

خوف السابقة ، وحذر الخاتمة قلقلا قلوب العارفين ، وزادهم انزعاجا  
( يحول بين المرء وقلبه ) ليس لهم في الدنيا راحة ، كلما دخلوا سكة من سكاك  
السكون ، أخرجهم منها الجزع إلى شارع من شوارع الخوف .

أروح بشجو ثم أعدو بمثله وتحسب أنى فى الثبات صحيح

حكم القوم العلم ، فحكم بالعمل ، فقاطعوا التسويق الذى يقطع أعمار  
الأعمار (١) ، وانتهوا فانتبهوا لليل والنهار . أخرجوا قوى العزائم إلى الأفعال ،  
فلما قضوا دين الجد ، قضت علومهم بالحذر من الرد ، حنوا فأنوا وانزعجوا

(١) الأعمار العامة من الناس . أو الجهال منهم .

فما اطمأنوا .. أنفاسهم لا تخفى .. نفوسهم تكاد تطفأ . لون المحب غماز ،  
دمع المشوق نمام ، من ضرورة دوران الدولاب أنثته .

أخني كمد الهوى ودمعي في الخد على هواك شاهد  
والجفن بلوعتي مقر للعاذل واللسان جاهد

تساوى في قلب العارف جبل الرجاء وجبل الخوف، فلما وصل إسكندر  
الفكر ، ألقى زبر الهموم حتى ساوى بين الصدفين ، صاح بجند الفهوم :  
انفضوا ، فاستغاث الواجد لتراكم الكرب .

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى هبوبها  
لاراحة للمحب فى الدنيا إن أحس بالحجاب ، لكن على البعد . وإن  
فتح له باب الوصل خاف الطرد .

فيكى إن ناوا شوقا إليهم ويكى إن دنوا خوف الفراق  
من لم يذق لم يعرف .

من لم بيت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد  
الفراق أظلم من الليل ، الوجد أحر من الجمر .

وفى فؤاد المحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها  
اشتد قلق الحب بإبراهيم بن أدهم<sup>(١)</sup> فصاح : إلهى ، إن كنت أعطيت  
أحدا من المحبين ما يسكن به قلبه قبل لقائك فأعطني ، فقد أحرقتى القلب .

لو شئت داويت قلبا أنت مسقمه وفى يدك من البلوى سلامته  
علامة كتبت فى خد عارفكم من كان مثلى فقد قامت قيامته

---

(١) ابن ملك بلخ خرج للصيد فسمع هاتفا من قربوس سرجه يقول :  
يا إبراهيم ، ما لهذا خلقت . فترك بلخ وتزهد وساح .



فرأى الحق جل جلاله في مقامه وهو يقول : يا إبراهيم ، أما استحيت  
منى تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك للقائى ؟ وهل يسكن قلب المحب إلى  
غير حبيه .

يا سائق العيس (١) قد براها حل هموم لها عظام  
رفقائها إنها جلود ملصقات على عظام  
أشوائها خلفها وشوق خلاف أشواقها أمانى

### الفصل الثانى عشر

اللهم نور ظلمة دنيانا بنور من توفيقك ، واقطع أيماننا فى طلب الاتصال  
بك ، فإنك إذا أقبلت سلمت ، وإذا أعرضت أسلمت .

إخوانى . إذا سبقت سابقة السعادة لشخص دلته على الطريق قبل  
الطلب . . ولقد اخترناهم على علم للعالمين . .

إن المقادير إذا ساعدت أحقت العاجز بالخازم

كان ذوالبجادين يتيماً فى الصغر ، فلما عمه الفقر كفله عمه ، فنازعتة نفسه  
إلى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهم بالنهوض فإذا بقية المرض مانعة ،  
فقال لسان التسوييف للنفس : قفى حتى يتقدم العمر ، فلما تكاملت الصحة  
نفذ صبر المشتاق ، فقال : يا عم قد كنت أنتظر سلامتك يا سلامك ، وما  
أرى زمن زمنك ينشط . فقال : والله لئن أسلمت لأنزعن كل ما أعطيتك ،  
فصاح لسان عزمه : نظرة من محمد عليه السلام أحب إلى من الدنيا وما  
فيها ، هذا مذهب المحبين جميعاً بلا خلاف .

(١) العيس : الجمال .

ولو قيل للجنون ليلي ووصلها تريد أم الدنيا وما في زواياها  
 لقال غبار من تراب نعالها أحب إلى نفسي وأشنى لبواها  
 فعاد العم في هبته حتى جرده من الثياب ، فناولته الأم بمجادأ لها ،  
 فقطعه نصفين ، فانتزرت ربواحد ، وارتدى بواحد ، وخرج ، في حلة  
 رب أشعث أغبر . .

سنة الأحباب واحدة فإذا أحببت فاستسن  
 فنأدى صائح الجهاد في جيش العسرة ، فتبع ساعة الأحباب ، راكبا  
 محجز العزم مع العجز ، والمحج لا يرى طول الطريق ، إنما يتلح المقصد .  
 ألا أبلغ الله الحمى من يريده وبلغ أكتاف المنى من يريدها  
 خليلي ليس الشيب عيبا لو اننا وجدنا لأيام الصبا من يعيدها  
 فنزل له ملك الموت بتوقيع : طال شوق الأبرار إلى لقائي ، فنزل له  
 الرسول يمهده له اللحد ، لمأمور إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما . وصاح  
 بأبي بكر وعمر : أدليا إلى أخاكما ، وثر عليه لآلئ : اللهم إني أسئلت راضيا  
 عنه . فارض عنه . فقال ابن مسعود : ليتني كنت صاحب اللحد .

### الفصل الثالث عشر

يا هذا ، حب الدنيا أقتل من السم ، وسرورها أكثر من النمل ، وعين  
 حرصك عليها أبصر من الهدد ، وبطن أمك (١) أعطش من الرمل ،  
 وبهم شريك أشرب من الهيم .

إن خضت في حديثها فأفصح من سحبان (٢) ، وإن اتقدت دنائرها

(١) كناية عن الأرض . وعلى هامش الأصل : أي الدنيا . وهو تفسير  
 للصوفية المتأخرين .

(٢) خطيب جاهلي من بني وائل . يضرب به المثل في الفصاحة .

فأحسب من دعفل ، حيلتك في تحصيلها أدق من الشعر ، في تدبيرها أصنع  
من النحل ، تجمع فيها الذر جمع الدر .

يا رفيقا في البله لدود القز      واعجبا ، ما انتفعت بموهبة العقل  
فأنت كدود القز ينسج دائما      ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وحرصك بعد الشيب أحر من الجمر ، أبقى عزم يا أبرد من الثلج ؟  
الدنيا في قلبك أعزم من الروح وستصيد عند الموت أهون من الأرض ، أنت  
في الشر أجرى من جواد ، وفي الخير أبطأ من أنرج . معاصيك أشهر من  
الشمس ، وتوتبك أخفى من السها . الزكاة عندك أنقل من أحد ، والصلاة  
عندك ثقل صخر على صدر . طريق المسجد في حسابان كسلك كفر سبى دير  
كعب . صدرك عند حديث الدنيا أوسع من البحر ، ووقت العبادة عندك  
أضيق من عقد النسعين .

يا من هو عن نجاته أنوم من فهد ، ضيعت وقتا أنفوس من الدر . إن عرضت  
خطيئته وثبت وثوب النمر ، وإن لاحت طاعة رخت روغان الثعلب ، فإذا  
عاملت الناس استعملت عذر الذئب ، تقدم على الظلم إقدام الأسد ،  
وتحتطف الأمانة اخطاف الحداة .

يا أظلم من الجلند ، أما تأمنك غزلان الحرم ؟ يا عذرى الهوى في حب  
الدنيا ، يا كوفى الفقه في تحصيلها ، يا بصرى الزهد في طلب الآخرة ، يا عجب  
لقلب أضعف من البعوضة ، كيف صار أفسى من الجنند .

ما يعجبه يجمع قس ، ولا يثر فيه وخط الحسن (١) ، ولا يرق لغزل  
جرير ، فليته فسر منام الأمل على ابن سيرين اليقظة ، قفل قلبك روى ،  
ما يقع عليه فش .

(١) يعنى الحسن البصرى .

## الفصل الرابع عشر

العقل رفيق القلب ، والطبع قرين النفس ، فلا تفاوت بين القلب والنفس . فرب جار جارٍ . مرادق القلب على أطناب العقل ، وخيمة النفس على أو تاد الهوى .

اكسر حدة خمر الهوى ، بمزاج ماء الرياضة ، اشدد أزر العقل بحبال التقى ، ماء طبعك أجاج ، وماء شرعك عذب . وقد مزج - للابتلاء - بينهما نور العقل ، يضيء في ليل ظلام الطبع ، فتبين جادة الصواب للنسك . وزناد الفكر حين يودى ، يرى عواقب الأحوال .

يوسف العقل ينظر إلى العواقب . وزليخا الهوى تتلحح العاجل ، والعزائم منازل الأبطال ، واستعمال الصبر دأب الرجال ، وإنما رد يوسف عقله ، وحمل زليخا طبعها .

ولا أقول لك : اقلع شجر الطبع من أرض الوضع ، كيف يمكن ؟ وقد قال الله عز وجل : « زين للناس حب الشهوات من النساء ، وإنما أقول : دم على المجاهدة في الجسم . وكلما انبعث من عروق الهوى عرق فاتطعه ، وكلما كل ما به تقطع فاشحذه . اقع بساحة الذل ، فعند المسجون شغل من الرباط ، اترك وأنت تهوى .

وفي القلب ما في القلب من لوعة الجوى

ولكننى أبدى الصدور مبرجا

إخواني ، من أفسد حسابه بالحياة استجيا من عرض الدستور . من توسخت ثياب معاملته بالمعاصي لم يقرب من المقربين . من سودت الذنوب وجه جاهه ذل بين الأكرمين ، من ركب ظهره التفريط نزل به دار الندامة .

أما سمعتم أن داود عليه السلام أعطى نعمة نعمة كان يقف لها الماء فلا يسير ، والطير تقف وقوف الأسير . فعمل مرض من خرق حجاب يفضوا ، فامتدت به يد البصر ، فقدت قيمص يوسف العصمة ، فأثر زلله حتى في تلاوته وقد كان معيار الوصال . يتفقد قديما آلات صوته ، فلما أقبل على الذنب أعرض المعراض عن المراعاة ، فقتعت منزل الصفا ، وانقطعت جامكية العسكر ، ففرقت جنود أوّبي ، فيالك من جرح تعز مرأهه .

كان عش عيشه رغدا فأحالته حالة الهجر ، وكانت أيام الوصال مشرقة فصار إناؤها بماء الصد مفرقة ، فكاد يقطع بالياس حتى ألتقى الخضر بالياس :

أرقى قد ترقى لي من أرقى      ورتا لي قلتي من قلتي  
وبكائي من بكائي قد بكا      وتشكى حرقى من حرقى

كان إذا أراد النياحة نادى مناديه : ألا من أراد أن يسمع نوح داود فليخرج ، فيجتمع أهل الأحزان في مأثم الندم ، فيزاداد الحزن بالتعاون .

يا بعيد الدار عن وطنه      مفردا يبكي على شبحه  
كلما جد النجيب به      زادت الأسقام في بدنه  
ولقد زاد الفؤاد شجما      طائر يبكي على فننه  
شاقه ماشاقي فبكي      كلف يبكي على سكنه

الإخلاص مسك مصون في مسك القلب ، يبه ريمه على حامله . العمل صورة ، والإخلاص روح ، إذا لم تخلص فلا تعب ، لوقطعت سائر المنازل لم تكن حاجا إلا بشهود الموقف .

لا تقتر بصورة الطاعات ، فإن خصم الإخلاص إذا جاء عند حاكم الجزاء ألزم الحبس عن القبول ، سوق الإخلاص رائجة ليس فيها كساد ، المخلص

بعد طاعاته لاحتقارها عرضا ، وقلم القبول قد أثبتتها في حين الجوهر .

المخلص مبهرج على الخلق ، يستر الحال . وبهرجه يصح النقد . لما وصف الرسول عليه السلام للصحابة حال الخمول (١) من حُلته حلية أويس عمل مغوّل الشوق في قلب عمر ، فكان في كل ينشد بلفظ الطلب ، ويكنى عن أهل اليمن .

ألا أيها الركب النيمانون عرجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا  
نسانلكم هل سال نعمان بعدنا وحب إلينا بطن نعمان واديا  
فلما لقيه عمر قال : من أنت ؟ قال راعي غنم وأجير قوم ، وستر  
ذكر أويس .

الأولياء تحت ستر الخمول ، ما يعلمهم إلا قليل ، فإن عرقهم بسياهم  
فتلح نقاء الأسرار لادنس الثياب . « ولا تعد عينك عنهم » .  
كان في ثوب أيوب السختياني بعض الطول لستر الحال ، وكان إذا  
تحدث فرق قلبه ، وجاءه الدمع قال : ما أشد الزكام .

أفدى ظباء فلاة ماعرفن بها  
مضغ الكلام ولا صبح الحواجيب  
كان إبراهيم بن أدهم إذا مرض يجعل عند رأسه ما يأكله الأصحاء ،  
لثلا يتشبه بالشاكين ، هذه والله بهرجة أصح من نقدك .

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا  
فكاذب قدرمي بالظن خيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا  
أشد أعمال القوم كتمان الأحوال ، يتصدق يمينيه فيخفيها عن شماله .

---

(١) ليس معنى الخمول هنا هو المعنى الدارج أى خمول المواهب ، بل معناه العمل في صمت ، مع كراهيته الشهرة . انظر البحث متقريبا في ملاحق روضة التعريف لابن الخطيب . من تحقيقا ، نشر دار الفكر العربي بالقاهرة .

كان النحوى إذا قرأ فى المصحف فدخل داخل غطاءه . وكان ابن أبى ليلى  
يصلى فإذا دخل عليه أحد نام على فراشه . كان الحسن تأتبه عبرته فيستردا ،  
فإذا خشى أن تسبقه قام من المجلس :

باح مجنون عامر بهواه وكتمت الهوى فت بوجدى

سحقت ناجة مسك المحبة ، فبثت فى محاريب المتعبدين . وليس كل ثوب  
يعلق به الطيب . رب قائم حظه السهر ، كم مرآه يتعب فى تمجده ، فتنغص  
ريح الرياح أوراق تعبه ، فتبتقى أغصان العمل كالسلا ، وليس للشوك  
نسيم ، فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم .

إذا بهرج المناق على عمل المخلص فاحت أرايح النفاق ، فتجافته  
القلوب لجيفته ، فذهب عمله جفاء .

واعجبا من أهل الرياء ، على من يهرجون ؟ دوربك يعلم ماتكن  
صدورهم ، غلب على المخلصين الخشوع ، فجاء المرأى يتبهرج . فقيل له :  
مهلا فلناقد بصير .

لما أخذ دور القز ينسبح ، فجاءت العنكبوت تشبهه به ، فنادى لسان  
الحال الفارق .

إذا اشتبهت دموع فى حدود تبين من بكى بمن تباكى

## الفصل الخامس عشر

يا مختار القدر اعرف قدر قدرك . إنما خلقت الأكو ان لأجلك ، أقبل  
على فإنى عليك مقبل ، متى رمت طلبى فاطلبنى عندك بدليل « وسعنى » .

ساكن فى القلب يعمره لست أنساه فأذكره  
غاب عن سمعى وعن بصرى فسويدا القلب تبصره

بيننا عهد يوم « ألسن بربكم ، شجراته تسقى بماء هل من سائل .

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم وتذنبون فتأتيكم فنعتذر  
أودعت إقرارك الحجر الأسود ، وأمرتك بالحج لتستحي بالتذكر  
من نقص العهد .

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ، ما هكذا كنا  
الحجر الأسود صندوق أسرار الموائيق ، مستمل لما أملى المعاهد .  
مستمل على حفظ العهود ، فاستلم المستمل الممل ، لتعلم أن إقرارك لاعت  
إكراه . إن كنت نسيتهن فما نسيتهن .

فلا تحسبوا أني نسيتهن وداكم فإني وإن طال المدى لست أنساكم  
حفظنا وضيعتم عهود وداكم فلا كان من بالهجر واللوم أغراكم  
يا محدثا في عهد : دلي ، ما ليس فيه ، تطهر من أدران الزلل . فلا بد للحدث  
من طهارة . خلقتك يوم الفطرة طاهرا ، ووفرت نصيبك من رش نوري  
عليك ، فأينعت أغصان الإفراز ، وهدلت حمامم الوفاق ، وتدلكت ثمار الوفاء .  
فلما تدنست بالذنب عطشت أرض الوصال ، فذوت أغصان المحبة ،  
وأجدبت أرومه المعاملة ، فطاف على جنة العزم طائف المطارحة ،  
فأصبحت كالصريم .

فنكس الآن رأس الذل طول شتاء الهجر . وابعث بريد الأسى ليعت  
مزن الحزن ، لعلها تبكي على قاع الإفلاس ، ومسكن المسكنة ، فتدب  
المياه في عروق أغصان اللب ، فتهتز العيدان في ربيع الاستدراك ، فما  
ارتوى زرع توبة قط إلا من جداول الحدق .

لعل أيامنا التي سلفت تعود أيضا كما عهدنا  
يا هذا ، لا ضرر يلحقنا من معاصيك ، إنما المراد صياتك ، ولا نفع  
ينالنا من طاعتك ، إنما المقصود ربحك . قد تبر أمرك .



يا قوم من غيرتنا عليكم حرمتنا الفواحش ، كم ندعوك فتأبى إلا الهجر ،  
فلا للعهد رعيت ، ولا بالتقويم استويت .

يا من يعز علينا أن نفارقهم      وجداننا كل شيء بعدكم عدم  
ويعتدنا لو عرفتم ذلك معرفة      إن المعارف في أهل النهى نهم

### الفصل السادس عشر

إخواني ، من رأى تصرف الدهر اتبه ، أما في الغير عبر ، مهد الطفل  
عنوان اللحد ، ريح الأجل يقشع غيم الأمل الشيبية باكورة الحياة ، والشيب  
رداء الردى ، لو أن أيام الشباب تباع لبذلنا فيها أنفسنا الأنفس .

متى أسفر صبح المشيب هوى نجم الهوى ، إذا قرع المرء باب السكولة  
فقد استأذن على البلى من عرف الستين أنكر نفسه ، من بلغ السبعين  
اختلفت إليه رسل المنية .

يا من قد انطوى برد شبابه ، وجُـسِبِيت خلع خَلعه ، وبلغت سفينه  
عمره ساحل سفره ، قف على ثنية الوداع فلم يبق إلا نظرة تغتم .

قطع المشيب سلك العمر فالتقط باقى الخرز ، ورب شقاء فى الأمل فاسد  
العمل ، عمرك يذوب ذوبان الثلج ، وتوانيك أبردمنه .

ولم يبق من أيام جمع إلى منى      إلى موقف التجمير غير أمانى  
أنت تحب الإقامة ، ولكن ماتحتمل المفازة ، فى نفس الجمل غير مافى  
نفس السائق ، ولوترك القطار لنا .

العائل من استعد لما يجوز وقوعه ، فكيف يغفل عما لا بد من كونه ،  
زمان التزود قصير ما يحتمل التسويف .

واعجبا لعمر قد ملء بالزاد خيف عليه العوز ، فكيف إذا تاهبته  
أيدى البطالة ، يا عجبا لمن ينشد ضالة وقد أضل نفسه ، ولمن يشفق أن ينفق  
دراهمه وقد ضيع عمره .

كان ثلاج لامعاش له إلا يبيع الثلج ، فبقى عنده منه شيء لم ينفق ، فجعل  
يقول في مناداته : ارحموا من يذوب رأس ماله .

ففقرك من الخير مشوب بالكسل ، ومتى كان الفقير كسلان فلا وجه  
للغنى ، ولو كانت لك أنفة من التواني لخرجت من ربة الذل ، بعث قيام الليل  
بفضل لقمة ، شربت كأس النعاس ففاتك رفة تتجافى جنوبهم ، امتلأت  
طعاما فإذا غريم الفراش يتقاضاك دين النوم ، فضرب على أذنك لا فى  
موافقة أهل الكهف ، تناولت حمرة الرقاد ، فوقع بك صاعب الشرطة ،  
فعمل فى ححك : نم و قم ، فجعل حدك الحبس عن قيام الليل ، فخرج عن  
توقيع قصتك وقت الفجر رضوا بأن يكونوا مع الخوائف .

والله لو بعث لحظة من خلوة بنا بتعمير نوح فى ملك قارون لغنبت . لا ،  
بل بما فى الجنات كلها ماربحت ، ومن ذاق عرف .

## الفصل السابع عشر

خلقت الملائكة من نور لاظلمة فيه ، وخلقت الشياطين من ظلمة لانور  
فيها ، وركب البشر من الضدين ، فظلام نفسه مقترن بنور عقله ، بينهما  
حاجز لطيف لا يعرف إلا بالمجاهدة كما أن بين الشمس والظل خطا لطيفا  
لا يراه إلا المهندسون .

والملك يسبح لأنه صاف ، والشيطان يعصى لأنه كدر ، وإنما العجب  
تقوى من تقوى فى حقه الأضداد .

الادى عقل وهوى ، غير أن بين الهدى والهوى برزخا من التوفيق .

ولولا لطائف الإعانة قلع سد التماسك ، ولم تطق البشرية المدافعة ، لولا  
لاحقة « لنهدينهم سبلنا » ، لسابقة « سبقت » لهم « منا الحسنى » .

قاصير أيها المحارب ، ولا تخف من كمين « واستفز » ، مادام لك مدد  
« ثبت الله الذين آمنوا » .

هبت عواصف التكليف بالبشرى ، فلم يتماسك هاروت وماروت ، فرمى  
بها رمى عاد ، وقال موافق « أتجعل فيها » : إن للحرب رجالا خلقوا .

كانت الملائكة تدعو على العصاة قبل هاروت وماروت ، فلما جرت  
قصتهم كانوا يستغفرون لمن في الأرض كما كان داود يقول : لا تغفر للخاطئين .  
فلما زل عرف .

فعدرتهم فعرفت ذنبي إنني غيرتهم فلقيت منهم ما لقوا  
عب بحر الأمانة ، فوقفت الملائكة على الساحل ، ونهضت عزيمة الأدمى  
لسلوك سبيل الخطر ، والمحج لا يرى العواقب ، ولسكران الوجد إقدام .  
يغلبني شوقي فأطوى السرى ولم يزل ذوالشوق مغلوبا

أين مجاهدة الأدمى من تعبد الملائكة ؟ حال الأدمى أعجب ! تسبيح  
الملائكة يدور على ألسنتهم بالطبع ، وتعبدهم لاعن تعب ، ورد شجرهم خال  
عن شوك الشك ، الغالب على أوصافهم أنوثة السلامة ، لاذكورة الجهاد .

شبح تسبيحهم عقود ما نظمها التكليف ، ثمرات زرعههم نشأت لاعن  
كف ، سقاها سبيح العصمة ، فكثرت في زكاة تعبدهم قدر الواجب « ويستغفرون  
لمن في الأرض » .

ظنت الملائكة أن يد العصمة أصنع في نظام عقد التسبيح ، ونسوا أن  
يبس الأشجار في أيام الشتاء سبب الزهر في أيام الربيع .

رحت لانا بالأمس نحتك سبتك العزيمتة رحت لانا سبتك  
رحت لانا بالأمس نحتك سبتك العزيمتة رحت لانا سبتك

## الفصل السابع عشر

العزائم في قلوب أربابها كالنار تشتعل ، إنها لتستعمل البدن ولا تحس  
بالتعب .

يغلبني شوقى فأحوى السرى

للعزائم رجال ليسوا في ثيابكم ، وطنوا النفوس على الموت ، فخصت  
الحياة ، لو رأيت ذا العزائم قد برز في براز الجرد .

يجد عنانا لم تخنه الشكائم

فلما عين هؤلاء ما يابن له قلب الجبان أبى عوده المعجوم إلا صلابه . فهو  
في صف الجهاد أثبت قلبا من القطب في الفلك . إن جن الليل لم تتصافح أجفانه ،  
لا ينتظر بقيامه وقت السحر . كيف وعة الصادى تأبى له انتظار الورد .

فلما أن مضى إلا قليل إذا به على قننة المجد المؤئل جالس

من لم يقم في طلاب المجد بالجد لم ينم في ظلال الشرف :

تقول سليمان لو أقت بأرضنا ولم ندر أنى للبقام أطوف

كان الصحابة هاجروا سرا ، وعمر خرج ظاهرا وقال للشركين : هاأنذا  
أخرج للهجرة ، فمن أراد لقائى فليقتنى في بطن الوادى .

فليت رجالا فيك قد نذروا دمي

مذعزم عمر على طلاق الهوى أحداً أهله عن زينه الدنيا ، فكان بينه  
وهو أمير ، كيت فقير من المسلمين ، تجمعت في فؤاده ، همم ملء قواد الزمان ،  
إحداها كان رضى الله عنه يقول : لئن عشت لأدعن أرامل العراق لا يحتجن  
إلى أحد بعدى .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز سمع البكاء من داره ، فقيل لهم : ما بالهم  
فقيل : إنه خير النساء والجوارى فقال : من شاءت فلتقم ، ومن شاءت  
فلتذهب ، فإنه قد جاء أمر شغلني عنكن .

أقسم بالفقه لاشييه له ظبي رنا أو غضن تاودا  
وكما قيل له : تهن فقد حزت المنى ، قال : وهل جزت المدى .

واعجبا ! أين العزائم ؟ إن العجز لشريك الحرمان ، وإيثار الراحة  
يورث التعب .

والهون في ظل الهوينأ كامن وجلالة الأخطار في الأخطار (١)  
إغسل وجه الجدمن غبار الكسل ، وأنفق كيس الصبر في طريق الفصائل  
إن كانت عزيمة ، فليس في لغة العزم ربما وعسى .

ليس عزما مامرض المرء فيه ليس هما ماهاق عنه الظلام

## الفصل التاسع عشر

يانأتما في ظلمة ظلمه ، ياموغلا في مفازه تبه ، ياباحثا عن مدينة حنقه ،  
ياحافرازية هلاكة (٢) ، يامعقا مهواة مصرعه . بنس ما اخترت لأحب  
الأنفس إليك .

ويحك اتلح الجادة ، فأنت على ضلال عين ، أملك ترى المحبوب ،  
وتعمى عن المكاره ، إذا كان عمرك في إدبار والموت في إقبال ، فما  
أسرع الملتقى .

كيف يبقى هلى حالته من يعمل الدهر في إحالته ، كيف تطيب الدنيا لمن

(١) الهون : الذل . الأخطار الأولى : الأندار ، والثانية : المهاللة .

(٢) معنى حفرة ملاكة .

لأيا من الموت ساعة ، ولا يتم له الزمان سرور يوم .  
 قد قرع الدهر بوعظه ، فما سمعتم « لينذر من كان حيا ، صاح ديك  
 الإيقاظ في سحر ليل العبر فما تيقظت فتنه إذا نعق غراب البين .  
 ومشقت القربات بنفق عمره حيران لاظفر ولا إخفاف  
 يامؤثرا ما يغنى على ما يبقى هذا رأى طبعك ، هلا استشرت عقلك لتسمع  
 أنصح النصائح « من كان دليلا البوم ، كان مأواه الخراب ، .  
 ويحك ! شهوات الدنيا أحلام يزخرها نوم الغفلة ، ونظار الجاهل  
 لا ينفذ سوى الهوى ، ولا يخرق حجاب الغفلة ، فأما ذو الفهم فيرى ما وراء  
 الستر .

لاحت الشهوات لأعين الطباع ، فنقض عنها الذين يؤمنون بالغيب ،  
 فوقع أكثر الخلق في التيه ، والقوم على هدى من ربهم . رحل الصالحون  
 وفي الغافلين تثبط .

تأفقه لقد عرفوا شرف المقصد ، ولكن بعدت عليه الشقة . وأسفا  
 لو عرفوا عن انقطعوا لقطعوا . يصبحون في جمع الحطام ، ويبيتون  
 على فرش الحرام ، وينفقون في الهوى بضائع الأيام . « أولئك الذين  
 اشتروا الضلالة بالهدى ، .

سلمت إليهم أموال الأعمار ، فأنفقوها في ديار الإدمار « فما رجحت  
 تجارتهم ، هذا والعبر تصيح « فهل ينظرون إلا مثل أيام الذين حلوا من قبلهم ،  
 غير أن المسامع قد تمكها الصمم .

ويحهم ! ! هلا تدبروا فساد رأى العمل « وأن عسى أن يكون قد اقترب  
 أجلهم ، إن في المعاصي لمقيم عبرة ، وليس المؤمن عنده ثقة ، ولا العمر  
 إذا مر يعود ، وعواري الليالي في ضمان الارتجاع والدهر ، يسير بالمقيم ،  
 اشتر نفسك والسوق قائمة ، والثمن موجود ، ولا تسمعن حديث الشريف .  
 فما لعذر من حادث يكفيل

## الفصل الحادى والعشرون

لما عرف الصالحون قدر الحياة أماتوا فيها الهوى ، فعاشوا واتبهوا ،  
والتقوا بأكف الجدم ما انتثرته أيدي البطالين ، ثم عاملوا القيامة فاحتقروا  
الأعمال .

أماتوا قلوبهم بالخافة فاشتاقوا إليهم الجنان ، فالجذع يمن إلى الرسول ،  
والجنة تشتاق إلى علي .

كم شخص أشخص الشوق يكاد لصيافته للمواثيق يقبله الحجر قبل تقيله ،  
كلما قضى الناسك المناسك ثم رجع ، بقى سهم الشوق في قلبه من منى ، ظواهرهم  
تراقب حدود الشريعة ، وقلوبهم وفق محبة الخالق .

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متقدم عنه ولا متأخر

أنفوا من مزاحمة الخلق في أسواق الهوى ، وقوى شوقهم فلم يهتموا  
خضراء الدنيا ، فخرجوا إلى فضاء العراء صحراء التقوى ، وضربوا مخيم الجد  
في ساحة المجد ، وتخيروا شواطئ أنهار الصدق ، فشرعوا فيها شارع البكاء ،  
وانفردوا بقلوبهم فسادهم ريم الفلا ، وترنمت بلابل بلباهم في ظلال الدجى  
فلو رأيت الواحد منهم يتقلب على جمر الغضا .

بمحسورا في حبس الجهل والمنى ، إن خرجت من بينك لتروج شخصك  
من غم البلا عرج بذلك الوادى ، تلمح القوم الوجود ففهموا الرحل قبل  
الرجل ، وشمروا في سوا السبيل ، فالتاس يخوضون في وحل الاكتساب ،  
وهم في ظلى القناعة .

مرضى الهوى يستغيثون في مارستان البلاء ، وهم في قصور السلامة ،  
وكسالى البطالة على فراش التدانى وهم في جد السباق ، يرجون تجارة لن  
تبور ، يمحرون خيل العزائم في ميدان المبادرة ، ويضربون كرة الدنيا

بصولجان الأنفة ، فمانعت الأيام حتى عبروا القنطرة ، وقد سلموا  
مما ضر .

تمكن غناهم في قلوبهم ، سيامهم في وجوههم من أثر السجون ، ماضهم  
ماغرهم . أعقبهم ماسرهم ، هان عليهم طول السفر لعلهم بشرف المقصد ،  
وحلت مرارات البلاء حبا لتعجيل السلامة ، فيا بشرام يوم ، هذا يومكم  
الذي كنتم توعدون . .

شقيت في الهوى زما فلما      تلاقينا كأننا ماشقينا  
سخطنا عندما جنت الليالي      فما زالت بناحتي رضينا  
سعدنا بالوصال فكم سقينا      بكاسات النعيم وكم سقينا  
فن لم يحي بعد الموت يوما      فإننا بعد مامتاحينا

## الفصل الثاني والعشرون

سبحان من يرسل رياح المواعظ فتثمر من قلوب المتيقظين غيم الغم على  
ماسلف ، متشوقة إلى بلد الطبع المنحرق برق الوعيد ، وبرق الخشية ، فترقا  
دموع الأحزان من قعر القلب إلى أوج الرأس ، فتسيل من ميازيب الشؤون  
على نطوع الوجنات ، فإذا عشب الشرب يفت فرحا بالإجابة :

سلي عنه تخبر باليقين دموعه      فلا تسألني عن قلبه أين يما  
وجعة عمرو مثل صرعة مالك      ويقبح بي الأموت متيا

إذا أرعدت سماء التخويف انزع لها قلب المذنب ، فانفتحت صحائف  
أصداف البحر لتلقى النسيان ففطرت فيها قطرات عزائم عقدتها لؤلؤ  
ربيع العرفان .

التوبة الصادقة كيمياء السعادة ، إذا وضعت منها حبة صافية على جبال من  
أكدار الذنوب دكتته هية التجلي قبل المباشرة ، وصار كحلا لأحداق البصائر .



رب ذنب أدخل صاحبه الجنة، إذا صدق التائب قلبت الأمانة مطمئنة .  
لما أخذ الخليل في طريق الصبر ، فتبعه الذبيح ، واستسلما ألقى على  
السكين السكون . إذا جالس التائب رفيق الفكر أعاد عليه حديث الزلل ،  
وندم على ركوب الخطل .

فرايت العين قد انفجرت فحرت كالسيل مدامها  
وسمعت لسان الحال أسا نيدى ويعد وقانها  
ويقول وحق تواصلكم لأعدت أزور مواضعها  
وعاينت عمال اليقظة قد بث أعمال الجد في رستاق القلب للعمارة. فيا أيها  
المذنب إن أشكل عليك أمرك ، فلتتضح لك دمعته .

إذا أعجمت أطلال هند على البلا فدمعك في بث الغرام فصيح  
بامطلقا وصالنا راجع ، يا حالفنا على هجرنا كفر ، إنما أبعدنا إبليس لأنه  
لم يسجد لأبيك ، فوا عجباً كيف صالحته وهجرتنا ؟ ويحك ! لك عندنا من  
القدر ما لا تعرفه ليلة القدر .

## الفصل الثالث والعشرون

حبال الدنيا خيال يغر الغر ، انقطعت منذ اتصلت بعزة فرعون الهوى  
فإذا ألقى موسى الزهد عصا العزم ، إذا هي تلقف .

الدنيا سوق فيها ضجيج الشهوات ، فإذا اشتغلت بها فكيف تسمع  
المواعظ ، نادى بالصالحين أمير نمل التوفيق عند عمر سليمان البلاء : كفوا  
أكف الطباح عن تناول لقم الشهوات ، وادخلوا مساكن الجمعة عن تخليط  
الإرادات . لا يحطمنكم سليمان الهوى وجنود الغفلات ، سبعة يظلمهم الله يوم  
لا ظل إلا ظلة، منهم رجل دعمته امرأة ذات حسن وجمال فقال: إني أخاف الله.

اسمع يامن أجب عجوزا شوهاه ، لاح للأولياء حب المشتهى ، فدوا  
أيدى التناول فبان للبصائر خيط الفخ ، فصاروا بأجنحة الخذر ، وصوبوا  
إلى الرعيل الثانى ، ياليت قومى يعلون ، .

ما أصعب السباحة فى غدير التماسح ، ما أشق السفر فى أرض مسبعة (١) .  
أى مقيد الوجود فى فناء الفناء ، قامت قيامة الملامة ، وما تسمع ، لقد  
نصحك صوت النصيح ولكن صلخ الأذان مانع .

كم لاحت شهوة تردى ، ولكن يعقوب المواعظ يعضد أنامل التحذير  
يوم البرهان وأنت لا تلتفت . ويحك : احضر الطبع الجاهل مجلس التفكير  
فقد فهم حبيب العجمى وعظ الحسن .

يا مقبها على الهوى وليس بمقيم ، يامندرا فى بضاعة العمر متى يؤنس منك  
رشد ، يا أكمة البصيرة لاحيلة فىك لحيلة ، أى طويل الرقاد ولا نوم أهل  
الكف ، مالك تنفق عمرك مجازفة ومالك بالميزان .

قدر أن الموت لا يتفق بغتة ، أتطمع فى الخلود ، أليس المرض ييغت ؟  
ويحك ! قد بقى القليل ، فاستدرك ذبالة السراج .

أما يزعجك صوت الحادى ؟ أما يؤملك صوت السائق ؟

لطفى على غفلات أيام مضت عنى وما لطفى براجع ماضى  
يا دائرة الشقاء أين أولك ؟ يا أرض التيه متى آخرك ، يا أيوب البلاء إلى  
كم تقيم على الكناساة .

خليلي ما أرجو من العيش بعدما أرى حاجتى تشرى ولا يشترى ليا  
يا حصرا عن الوصل لافى سفر الحج ، ضالا عن الهوى بالهوى ، يامنقطعا  
فى سبيل السلوك عن جملة الوفد إذا احتبست فى مرض الهوى يموت الطرد

فتحامل إلى خيمة أهل الوعد ، وأشهد على وصيتك ، من المقبولين ذوى عدل ، وناد بانكسار الذل على حسرة الفوت .

إذا ما وصلتكم سائين فسلوا على خيرة ذرو المعالي تسنموا

## الفصل الرابع والعشرون

أعظم المصائب شماتة الأعداء ، وعداوة الشيطان قديمة من يوم دأب واستكبر ، وحسد إبليس من يوم دأنجمل ، وفرح النظراء بك أعظم الكل ، وما انتقم منك حاسد بأعظم من تفريطك ولا انتقامت منه بأعظم من تقويمك ، فالحظ كيف أفت نفسك الحظ ، وأنت الحاسد المراد .

ما بلغ الأعداء من جاهل ما بلغ الجاهل من نفسه

ويحك ! اصبر عن الهوى تحمد عواقب السلامة .

فإن المر حين يسر حلوا وإن الخلو حين يضمر مر

نخذ مرا تصادف عنه حلوا ولا تعدل إلى حلوا يضمر

إريك والذنوب ، فلو لم يكن فيها إلا كراهة اللقاء كفى عقوبة ، أطيب

الأشياء عند يعقوب رؤية يوسف ، وأصعبها عند إخوته لقاءه .

إذا كان القلب تقياض لحديث المعصية ، وإذا تكدرت عليه ولم

ييال ، كانت المعصية عنده غريبة فاستوحسن ، فلما صار بليد الطبع لم ينفر .

لابس الثوب الأسود لا يجزع من وقوع الخبر عليه ، يا جرحى الذنوب

قد سقرت المرامم ، إن لم تقدروا على أجر نائحة فنكسوا رموس الندم ، فيا بخي

صاحب المصيبة ، فإن فاتكم عز معاذ ، فلا تعجزوا عن ذل الثلاثة الذين خلفوا .

خذوا دليل العزم إن لم تعرفوا سبل الوصول ، فلعل خيرة الطلب

توقفك على مام مدين ، سيروا في بوادي الرجاء ، وأنيخوا بوادي الذل في كسر

الإنكسار ، وأصيخوا بأسماع اليقظة ، لعل حداء الواصلين يحرك أطراب

القلوب ، لا ، بل ربما عوق السائرون لوصول المنقطع ، فكم قد صار في الرعيل الأول من كان في الساقة (١) .

لا تملوا الوقوف ولو طردتم ، ولا تقطعوا الاعتذار وإن رددتم ، فإن فتح الواصلين دونكم ، فاهجموا هجوم الكذابين ، ونكسوا رهوس الفقر ، وابسطوا أكف ، وتصدق علينا ، لعل هاتف القبول يقول : « لا تثرىب عليكم اليوم » .

وإذا جئتم ثنيات اللوى فلهجوا ربيع الحمى في خطرى  
وصفوا شوقى إلى سكانه واذكروا ما عندكم من خبرى  
وحينى نحو أيام مضت بالحمى لم أقض منها وطرى  
أتمتكم إذا هب الصبا ضاع عمرى فى المنا واعمرى

### الفصل الخامس والعشرون

الجنة ترضى منك بالزهد والنار تندفع عنك يترك الذنب ، والمحبة ما تقبل الرشا . أيها الطالب اخرج إلى عنك ، قلب ضعيف لا يفى بى وبك ، إما أنت وإما أنا ، افقد نفسك تجدى .

لما نسى الخليل عليه السلام نفسه قويت صولة يوم « أما إليك فلا » ، (٢) ماسلك طريقا أطيب من الفلاة التى دخلها عند انفصاله عن المنجنيق .. رب اتسقى فيها أقدام الرضا على أرض الشوق ، شابهت ليلة « فزجنى فى النور » ، فقال : « هانت وربك » .

زرناك ولو أن الفلا بسطت نشر الفلا بيننا حمرا لزرناك  
لاحت أوصاف الصانع فى جمال الكمال ، فأشرق فى قلوب العارفين  
حبه ، فصاح لسان الحال :

(١) أى كم سبق المتأخر حتى صار فى المقدمة .  
(٢) وذلك حين جاءه جبريل وقد أعدت له النار فقال له : أمالك حاجة ؟  
فقال : أما إليك فلا .

بدم المحب يباع وصلهم

فأجاب العزم .

فا غلت نظرة منكم بسفك دم

قلبهم الحب في أرض قفر الفقر، على أكف البلاء، بقطع أوداج الإعراض  
بسكين المسكنة، والمحبوب يقول : «أصبرون، ؟ والأرواح تجيب: عنك لا .

شغلت نفسى وقلبي في محبتكم      لاخلف الله روحى عن مودتكم  
ها قد غضبت على نفسى لأجلكم      حتى جفوت حياتى بعد جفوتكم  
إذا تلهب جمر الشوق في كبدى      أطفأة ماء التلاقي يوم رؤيتكم

غاب القوم عن وجودهم شغلا بموجدكم ، طرق طارق باب أبى يزيد  
البيسطامى ، فقال : أبو يزيد ها هنا ؟ فقال له أبو يزيد : أبو يزيد يطلب  
أبا يزيد فإيراه .

لا يعرف رموز الأحباب إلا مجانين ، سل عن حال سلى وعن حال  
المجنون . بلغت بهم المحبة إلى استحلاء الآلام ، لعلمهم أنها مراد الحبيب .

وكل ما يفعل المحبوب محبوب

لما طعن ابن ملحان قال : فزت ورب الكعبة ، ضُنى سويد بن مشبة  
على فراشه فكان يقول : والله ما أحب أن نقصنى منه قلامة ظفر .

تعجبوا من تمنى القلب مؤلمة      وما دروا أنه أحلى من العسل

المحبوب محبوب وإن عذب ، استقرت جبال المحبة في أرض القلوب فلم  
ترزعها عواصف البلاء، أمر الحجاج بصلب ماهان العابد فوق خشبة، فصلب  
وهو يسبح ويعقديده حتى بلغ تسعا وعشرين، فبقى شهر، ويده على ذلك العقد .

لتحشرن عظامى بعدما بليت      يوم الحساب وفيها حكيم علقى

إذا وقعت المعرفة في قلب سهل البلاء ، فإن قارتها المحبة فلا أثر للبلاء ،  
لأن المحب يستلذ إذن كل أذى .

عذابه فيك عذب وبعده فيك قرب  
وأنت عندي كنفسي بل أنت منها أحب  
حسبي من الخلق أني لما تحب محب

مروا على مجذوم قد قطعه الجذام فقالوا له : لوتدوايت ؟ فقال : لو قطعتني  
إربا ما ازددت إلا جبا .

واعجبا بما للعنول وما لهم قد رضى المقتول كل الرضا

## الفصل السادس والعشرون

العمل والعلم توأمان ، أمهما علو الهمة . أيها الشاب ، جوهر نفسك  
بدراسة العلم ، وحلها بحليه العمل ، فإن قبلت نصحي وصلت لصدر سرير المجد ،  
من لم يعمل بعلمه لم يزد مامعه ، حامل المسك إذا كان مزكوما لاحظ له  
فيما حمل ، قلب العالم العامل يقذف إلى ساحل اللئذ جواهر النطق ، فتلتقطها  
أكف الفهم عن الله عز وجل . إن العالم لحاتم خنصر الدهر . إن العلماء  
غرباء في الدنيا لكثرة الجهال بينهم .

أيها المعلم ، تثبت على المبتدئ وقدر في السرد ، فللعالم رسوخ ،  
وللمتعلم قلق .

ويا أيها الطالب ، تواضع في الطلب ، فإن التراب لما ذل لاخصم القدم  
صار طهورا للوجه . ولا تياس من مداومة الخير أن يقوى ضعفك ، فالرمل  
مع الزمان يستحجر .

صابر ليل البلاء ، فبعين الصبر ترى عسج فجر الآخرة ، ما يرى منصب  
بلا نصب ، ألا ترى إلى الشوك في جوار الورد ؟ .

أيها المبتدئ تلطف بنفسك ، فزارة الجهل صعبة ، تنقل من درج  
الرخص إلى سلم العزائم ، ولا تياس من نيل المراد .

## فأول الغيث قطر ثم ينسكب

أقدم على حضور المواعظ ، فإن الطفل كل ساعة يحتاج إلى الرضاع ،  
فإذا صار رجلا صبر عن الطعام . على أن الماء إذا كثر صدمه للحجر أثر .  
ياعطاش الهوى في تيه الغفلة ، انحازوا إلى جادة العلم ، فكم في فيافي  
التعليم من عين تعين على قطع البادية .

ياجيرة الحى هوا من رقادكم على حديث له في سمعكم شغل

طريق الفضائل مشحونة بالبلاء ليرجع مخنث العزم . إذا نزلت بالحازم  
بلية فوجد مذاقها مرأ دار الفكر في حد العواقب ، فنسخ و نسخ مارسخ (١) .  
العاقل صابر الشدائد لعلبه بقرب الفرج ، والجاهل على الضد من ذلك .  
كما أن النار إذا اشتعلت من حطب الزيتون لم تدخن ، بخلاف السوسن ،  
لأن الطبع طفل والعقل بالغ .

وعاقبة الصبر الجميل جميلة فلا تسأمن الصبر واصبر لعلها

## الفصل السابع والعشرون

إخواني ، الدنيا ملتيق الوداع ، فاصبروا لما مر فيها ، فكان قد مر (٢) ،  
أحذروا شرها ، فقد سحرت سحرة بابل ، مكارهها في غضون المحبوب  
وأعقابه ، ما أمسى أحد منها في جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف .  
أفق قد أفاق الوامقون وقد أنى لدائك أن يلقى طيبيا يلائمه .  
أفنت عمرك في طلبها ، وما حصل بيدك إلا ما حصل بيد المجنون من ليلي .  
صحا كل عذرى الغرام من الهوى وأنت على حكم الصابئة نازل

(١) أى زال قدر عدم المرسوخ أو الذي رسخ في النفس من أثر البلاء .

(٢) مر الأولى : من المرارة ومر الثانية : زال وذهب .

تصحو في المجلس من خمار الدنيا ساعة ، ثم تغلبك كما يغلب الشارب حميا الكأس ، وليس في برق السلاح ماتمع لمن يخوض في الظلمة .  
كم عطف عطفك بلجام الفطنة إلى عطفة اليقظة ، فإذا انقضى المجلس عاد الطبع ثاني عطفه .

### وتأبى الطباع على الناقل

جسمك عندنا ، وقلبك غائب عنا ، عزمك في طلب الدنيا وتشتهى بيل الآخرة .

هواها وراها والسرى عن أمامها فبن صحيجات النواظر حوّل الدنيا مفازة لاتصلح للتوطن ، إن البيدر إذا صفا حمل إلى دار الإقامة ، وعجبا لمن أطال الوقوف على القنطرة حتى نسي اسم البلد .

ويحك ، كسب الدنيا يزيد في الحساب عليها ، ساعة الحمل لعب ، والجد في الولادة ، نثار السكر في مبدأ العقل كمرارة الوضع ، الدنيا كامرأة فاجرة لاتثبت مع زوج ، فلذلك عيب طلاقها .

ميزت بين جمالها وكإلها فإذا المحبة بالخيانة لاتفي حلفت لنا ألا تخون عهدنا فكأنها حلفت لنا ألا تفي الدنيا قنطرة على بحر الهلاك ، نخذ بالحزم في تعلم السباحة قبل الجواز ، فإ تآمن من عثور قدم ، ولا عاصف قاصف .

أحذرنا آمن ماتكون ، وانتظر حزنها أسرّ ماتكون .

إذا رأيت <sup>أنياب</sup> يتوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يتسم

الدنيا دار ابتلاء تشبه قصر مصر ، استبق الكتاب فيها يوسف العزم ، وزليخا الهوى ، وقيص الأعمال يعرض على يعقوب الشفاعة ، فن رأى قيصه قد من قبل قال : سحقا . ومن رأى قيصه قد من دبر قال : ادخرت شفاعةي .



يامن ألقاه في جب الحب سنارة القدر ، إنه يبعث في كل ليلة وأرد دهل  
من سائل ، ، فكن متيقظا للوارد إذا أدلى دلو التخليص ، وقم على قدم  
وتتجافى ، ، وامتد أنامل يدعون ربهم ، وألق ما في عينيك لتعجل ، ولا تتشبث  
بأرجاء أبناء الدنيا ، فإنها رمل تنهار عليك .

فإذا تخلصت بعزائم الإجابة عن الطارق المسبقة ، وسرت في مصباح  
اليقين خلف دليل الهدى ، سمعت بشير حادى الركائب يترنم بلسان الهنا ،  
والراحة من العنا :

عند الصباح يحمد القوم السرى

## الفصل الثامن والعشرون

صاح بالصحابة رضى الله عنهم وادعوا اقرب للناس حسابهم ، ،  
ففرغت للخوف قلوب ، فجرت للحزن عيون ، فسالت أودية بقدرها .

رمى الصديق ماله حتى يقربه إلى المذكر ، وتخلل بالعبا ، وقال عمر : ليتنى  
كنت نبتة . وقال عثمان : إذا مت لأبعث ، وصاح على بالدنيا : طلقتك ثلاثا  
لأرجع لى فيك ، وقد كانت تكفى واحدة ، لكنه بت لثلا يتصور للهوى  
جواز المراجعة ، وطبعه الكريم يأنف من المحلل .

وقال أبو الدرداء : ليتنى كنت شجرة تعضد ، وقال عمران بن حصين :  
ليتنى كنت رمادا ، أنت تسمع القرآن لكن لا كما سمعوه .

لو يسمعون كما سمعت كلامها خر والعزة ركما ويمجودا

إقدام الصائقين على أقدام التعبد ، قد التقت الصفوف ، يعتمدون على  
سنايك الخوف ، فإذا أثر النصب أوجب براز الرجاء .

اختلف القوم عند الموت ، فبعضهم صابر الخوف حتى قضى نجه كمر

كان يقول عند الرحيل : الويل لعمر إن لم يغفر له . ومنهم من غلب عليه  
الرجاء كبلال ، كانت زوجته تقول عند موته : واحرباه ، وهو يصيح  
واطرابه ، غدا ألقى الأحبة ، محمدا وحزبه .. علم أن الإمام لا ينسى المؤذن  
مخرج كرب الموت براحة الرجاء .

بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا

قال سليمان التيمي لولده عند الموت : اقرأ على أحاديث الرخص ، لآتي  
الله عزوجل وأنا حسن الظن به .

إلى متى تتعب الرواحل ولا بد من مناخ .

رفقا بها أيها الزاجر قد لاح سلع وبدا حاجر  
وخلها تسحب أرسانها على الربا لاراعها ذاعر  
وأذكر أحاديث ليال منى لاعدم المذكور والذاكر

ياختث العزم ، أين أنت والطريق طريق نصب فيه آدم، وناح لأجله  
نوح ، ورمى في النار من شأنه الخليل ، وأرعج للذبح إسحاق ، ويبيع يوسف  
بدرهم ، ونشر بالمنشير يحيى، وصبر للبلاء أيوب، وزاد على الحد بكاه داود،  
وتنصص في الملك عيش سليمان ، وتحير برد دنان ، موسى ، وهام مع الوحش  
عيسى ، وعالج الفقر محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فيأدارهم بالحزن إن مزارهم قريب ولكن دون ذلك أهوال

أول قدم في الطريق بذل الروح ، هذه الجادة فأين السالك ، هذا قميم  
يوسف فأين يعقوب، هذا طور سيناء فأين موسى يا جنيد احضر، يا شبلي اسمع .

بدم المحب يتال وصلهم فن الذي يتباع بالسعر

## الفصل التاسع والعشرون

حلل الوجود مكونة بالأصابع على عرائس الموجودات ، لتروا  
أعين العباد .

واعجبا : لو دخلت بيت ملك لتعجبت من نقوشه ، فارفع بصر العبرة ،  
واخفض عين البصيرة ، فهل بينه أحسن من هذا الكون ؟

أخرج من ديار إدارك ، واعر في معبر اعتبارك . قف في يفاع قاع ، ترى  
كيف تمت خضرة خضرته بأسرار الخالق ، إذا تمت تلح أعناف النبات في  
ثياب النبات قد برز في عيد الربيع يميس طربا . الخزامى مختلف الألوان .  
في الغصن الواحد صاغ صانع القدرة ما يرشد الغافلين إليه ولكنهم مشغولون  
في ما كل الهوى . اسمع الورق على عيدان الورق ، لعل تقاطع السجوع توجب  
رجوع المقاطع .

ولقد تشكو فما أفهمها      ولقد أشكو فما تفهمني  
غير أني بالجوى أعرفها      وهي أيضا بالجوى تعرفني

واعجبا كيف تفكر في الغير وتنسى نفسك ، تأمل بعين الفكر نطفه  
مغموسة في دم الحيض ، ونقاش القدرة يشق سمعها وبصرها من غير مساس ،  
بينما هي ترفل في ثوب نطفة ، اكتست صفة مصنعة ، ثم اقتسمت إلى عظم  
والحم ، فاستترت من يد الأذى بوقاية الجلد ، ثم خرجت في صيغة طفل ،  
ثم ارتقت إلى مراق الصبا ، فتدرجت إلى نطق المنطق ، وتشبثت بذيل الفهم ،  
فكم من صوت بين أرجل التنقل ، من تحريك خلاخل العبر في حلال  
رنت عنت أسن الهدى في مغاني العاني . وكيف يسمع أطروش الشقوة .

هيات ، ليس للزكوم من الورد نصيب ، ولا للبسجون في العيد حظ  
فإن كنت تعرف هذه العجائب ولا تتعجب منها فتعجب من عدم تعجبك . .  
كيف أهدمت التدبير مع آلات الفهم ، وأعميت بصيرتك بعد رؤية الحق ،  
فإنه أعجب أفعال القدرة ، وأضله الله على علم . .

## الفصل الثلاثون

لطف الحق بعبده قديم . لما ظهر الولد أجرى له عين اللبن ، يفريل  
قطرها عيون الثدى ، وبذر في قلب الوالدين حب الحب ، حتى جدا  
في اللطف جدا فلما عرف المنعم أنفق النعم في المعاصي .

وكم ليلة قد بات عار من التقى يغطيه ستر الحلم بالتيه درى  
ولما بلغ أشده استوى على متن ظهر المبارزة : لمن ؟ مع من ؟ إلى أين ؟  
من أنت ؟ من أنا ؟

لما الله من لا ينفع الود عنده

يا هذا ، لنا بك لطف يزيد على كل لطف إذا تبت من الذنب أنسينا  
الملك ما كتب . وإذا حاسبتك سترناك ، لثلايرى الخلق اصفرار لونك بالحجل  
يا طاهر الفطرة لا تدنس بأنجاس الزلل ، شمر أذيال التقوى عن  
مزيلة الهوى ، واحذر رشاش الشهوة أن ينتخض على ثوب النظافة . وحل  
التكليف يحتاج إلى شدة التحرز . فانظر بين يديك ، فإن زلتم من بعد  
ما جاء تمك البيئات ، . فعيون العيون تغسل أدران القلوب .

كان أول أمرك سليما يوم ، وأشهدهم على أنفسهم ، فأصلح آخر أمرك  
تسامح في الوسط . ياطويل الغيبة عن وطن ، أين حنين شوقك .

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

قف على الدرب وانشد ظفان الغادين .

الأخبر ونا . أين زُمت ركابكم وأين استقرت هوجكم ومطامكم

أنين المذنبين أحب إلينا من زجل المسبحين . الطمع يدل بالعمل ،  
والمذنب ذليل بالزلل . الخطيء اوتار الوجل ، وينشد بتطريب الحجل .

من معبد أيام ذى الأثل أوما      قل منها ديثنا على وهرضا  
ساحا بالقليل من أرض نجد      ربما أفتع القليل وأرضي  
ياعجبا ، استقرض الملك قطرة ن الدمع وقد خالق سبعة أبحر . له ملك  
السموات والأرض وقد بعث رسالة من ذا الذى يقرض ، ، الكبرياء  
رداؤه وهو يقول لعبده : دجعت فلم تطعمنى ، قطع أعناق الألسن أن تعترض  
بحسام ، لايسأل ، ثم أقبل بإنعام ، هل من سائل ، ، مايسعه مسكن ، ويسعه  
قلب من تمسكن ، غاب عن الأبصار ، وبدا للبصائر .

واعجبا !! يتجيب إليك وهو عنك غنى ، وتممقت إليه وأنت له فقير ،  
إن تأخرت قربك ، وإن توائنت عاتبك ، ما آثر عليك من المخلوقات شيئا ،  
وأنت تؤثر عليه كل شيء . فنكس رأس الخجل ، فالك عن هذا جواب .  
صحائف عندى للعتاب طويتها      ستششر يوما والعتاب طويل

## الفصل الحادى والثلاثون

لمارآى الصالحون سطوة الدنيا بأهلها ، وتملك الشيطان قياد الهوى  
لجأوا إلى حمى التصرع ، كما يأوى الصيد المذعور إلى الحرم .

فلورأتهم يمشون فى ثياب التجمل ، عليهم قناع القناعة ، د يحسبهم الجاهل  
أغنياء من التعفف ، ينامون ولانوم ، ويأكلون ولاأكل ، الشكلى تاكل يوم  
المصيبة ، ولكن هدم الحزن أكثر من بناء العزاء .

لو كانت لك عين بصيرة عرفت القوم ، خط الولاية على وجه الولى قلم  
هندى لايعرفه إلا عالم به . تلبح القوم العواقب بأعين البصائر ، ولم يروا عن  
المطلوب عاتقا ، ولاوجدوا من المقصود مانعا سوى النفس ، فتلطفوا لقهرها  
بحيلة لايعرفها ابن هند ، ولايعلمها ابن العاص ، فلما أسروا الدنيا فتكروا  
بها ولافتك ابن ملجم .

قلوب أسود في صدور رجال  
إنك لو رأيت ذا العزم منهم لرأيت أسدا قد حورب .  
إذا هم ألقى بين عينيه عزمه

هبّت رياح الفكر ، فقامت أرض القلوب ، وألقى فيها بذر العزائم ،  
فسقته مام مزن العيون ، فدبت الأرواح في أغصان المعاملة ، فظهرت أزهارها ،  
يتضمن غير عبارة لسان حالها بذكر الله ، ففاح عنبر النور أطيّب عرفان  
المسك ، فقويت بريجه قلوب المرينين .

لا يحصل خطير إلا بخطر ، فاخس في خيسك ، ياخنت العزائم الريح  
في ركوب البحر ، الدر في قعر اليم ، العلم في ترك النوم ، الفخر في هجر النفس .  
من يجب العلم يدأب إليه ، وكبدا من طلب الدر غاص عليه ، لولا التخلل  
بالعبا ماجات مدحة « أناعنك راض ، لأبى بكر ، ولولا إرسال البرامة إلى  
الضرة : طلقك ثلاثا ، ما اشتقاقت الجنة إلى علي » .

لو قرب الدر على جالبه      مالج الغائص في طلا به  
- لولا المشقة ساد الناس كلهم      الجود يفقر والإقدام إقبال

## الفصل الثاني والثلاثون

إذا أراد القدر نفع شخص هيا قلبه لقبول النصائح ، وساق إليه موعظة  
على فراغ سوق المطر إلى الأرض الجرز ، فيخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ،  
وإذا عرض القدر عن شخص ألقاه في بحر الغفلة ، فكلما فتح عينيه رأى  
ظلمات بعضها فوق بعض .

نجائب السلامة مهياة للراد ، وأقدام المطر ودموثقة بقيود الغفلة ، كم تمنى  
المرود أن يصل ، هيات ، كم محرم محروم ، صد من فيد هكندا .

يقر لعيني أن أرى رملة الحمى إذا ما بدت يوماً لعيني ولأهلها  
ولست وإن أحببت من يسكن الغضا  
بأول راج حاجة لا ينالها

المخلوق هدف ، والمقادير سهام ، والراعى من تعلم ، فما الحيلة ؟ .

صوارم القدر إذا هزت قلقلت رقاب المقرين ، غضب على قوم فلم  
تنفعهم الحسنات ، ورضى عن قوم فلم تضرهم السيئات .

هبت عواصف الأقدار ، ثقب بحر التكليف ، وتقلب بيد الوجد ساكن  
الألوان ، فقطعت أطناب الأسباب ، وفريق هدى وفريق حقت عليهم الصلاة ،  
ووقعت خيام المتكبرين فانقلب قصر قيصر ، وانكسر جيش كسرى ، وانبت  
جبل صاحب دتبت ، ، وسدد شمل أبى طالب ، وهى عمل أبى جهل .

فلما طلع الفجر ، وركد البحر ، إذا أبوطالب غريق فى لجة اليم ، وسليمان  
على الساحل سالم ، والوليد بن المغيرة يقدم قومه فى التيه ، وصهيب قد قدم  
ببضاعة التوحيد عن قافلة الروم ، وأبو جهل فى رعدة المخالفة ، وبلال ينادى :  
الصلاة خير من النوم .

### الفصل الثالث والثلاثون

الدنيا نهر طالوت ، والفضائل قد نادت ، فمن شرب منه فليس منى ، فإذا  
قامت الفأفة مقام ابن أم مكتوم وقع الأمر ، إلا من اغترف غرفة بيده .

فأما أهل الغفلة فارتووا ، فلما قام حرب الهوى ثبطتهم الفطنة ، فناخوا  
بأسنة العزم ، لاطائة لنا اليوم بمجالوت <sup>وهو</sup> وجوده .

وأقدام داود الجدماونت ، خار السبق بالظفر .

الدنيا ظل ، إن أعرضت عن ظلك لحقتك ، وإن طلبته تقاصره اخذني  
من خدمتي ، واستخدمني من خدمك .

الزاهد لا يلتفت إلى الظل فيتبعه الظل ، والحريص كلما التفت لم يره ،  
أيها الحريص على الدنيا إلى كم تهيم في بيداء التحير كالذي استهوته الشياطين .

ويحك !! أتحرص على الحرام وليس لأملك منتهى ؟ ويحك !! إن البحر  
لا ينزف ، فأنع بالرى ، ويحك !! إن سير الأمانى سفر لا ينقطع ، هيات  
أن يستغنى من لا يكفيه ما يكفيه .

ويحك !! إن المفروح به هو المحزون عليه لوفطنت ، الدنيا خمر كلما  
شرب منه الحريص زاد عطشه ، أدرع من ثوب القناعة ما يشتمل كل  
الأطراف ، فالقناعة تدفع بالراحة صدور الهم ، وتهدى الراحة إلى تعب  
القلب ، وكل الشر في الشره .

وكم شارب شرق قبل الرى ، وعام اللذة خناق من عسل ، وتنع نحل على  
نيلوفر فأعجبه ورقه المنتشر ، فنام ، فلما جاء الليل تقبض الورق وغاص في  
الماء فهلك النحل ، حرصك غيم يحجب عين القلب عن مشاهدة الآخرة ، فابعث  
شمال العزم تمزق شملة شمله .

عندك ما يكفيك وأنت تطالب ما يطغيك ، وشرب الماء على الرى يورث  
الإستسقاء ، ما أمنعك من الدنيا ، ولكن الحمة قرين العسل ، ليس للحريص  
عيش يصبح وما قنع ، ويمسى وما شبع ، تراه أحير من بقة في حقه ، خلف  
مالا يساوى جناح بعوضة .

إنما المراد من الدنيا قدر ما يصلح البدن ، للسعى فيما خلق له ، فالاشتغال  
بالمواد أدعى للنقص في المقصود .

إن جامع الأموال لغير البلاغ خازن للورثة ، فهو يحرق نفسه بتار الحرص  
وينفع بربح جمع غيره ، كاتقاع الناس بعرف العود المحترق .



كَمْ قَتَلَتِ الدُّنْيَا قَتِيلًا قَتَلَتْكَ ، كَمْ أَهْلَكَ حُبُّهَا مِثْلَكَ .

كَمْ بِالْمَحْصَبِ مِنْ عَلِيٍّ لِي هُوَ طَرِيحٌ لَا يَعْجَلُ  
وَقَتِيلٌ بَيْنَ خِيْفَتِي وَجَمْعِ لَيْسَ يَعْجَلُ

يا كنعان الأمل ، يا نمرود الحيل ، يا ثعلبة<sup>(١)</sup> البخل ، يا نعيان<sup>(٢)</sup> الزلل  
أنت في جمع الأموال شبه حاطب ، وفي تبذير العمر رفيق حاتم<sup>(٣)</sup> ،  
تمشى في الأمل على طريق أشعب<sup>(٤)</sup> ، فكيف بك إذا .

ندمت ندامة الكسعي لما رأته عيناها مصنعت يدها

ألقىت نفسك في جُبِّ حبِّ الدنيا ، فتي يخلصها و أراد الزهد ، فتسمع  
نغمات الفرح يا بشرى ،

(١) هو ثعلبة الذي . سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يرزقه  
الله مالا ليتصدق . فدعا له فكثرت ماله حتى سكن خارج المدينة . فأرسل إليه النبي  
صلى الله عليه وسلم يطلب الصدقة فأبى وقال : هذه أخت الجزية . فلما بلغ ذلك  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ويح ثعلبة . فلما علم بذلك جاء عرض  
صدقته فرفضها النبي صلى الله عليه وسلم . ورفضها بعده أبو بكر وعمر وعثمان .  
وزادت فيه دمنهم من عاهد الله لئن آثانا من فضله لتصدقن . . . الآية .

(٢) رجل كان يذم الخمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وحده في الشراب  
أربع مرات . ولعنه رجل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يلعنه  
فإنه يحب الله ورسوله .

(٣) حاتم الطائي المشهور .

(٤) أشعب رأس الطفيلين بالمدينة .

## الفصل الرابع والثلاثون

يا جامدا عن وضع طبعه ، يجرّك إلى وطن وضعه ، انظر لماذا خلقت ،  
وما المراد منك .

رض مهر نفسك يتأت ركوبه ، أمت زئبق الطبع يمكن استعماله ، تلبح  
بغير الأجر من ظلام التكليف ، وأرق خمر الهوى فما يفتلك صاحب الشرطة .

بجر طبعك أجاج (١) ، وماء قلبك عذب ، والعقل بينهما قائم مقام الخضر  
فيا موسى الطلب لا تبرح عن السلوك ، حتى تبلغ مجمع البحرين (٢) .

قف على قدم الصبر وإن طال الوقوف ، غلس على مقلوب كرسى :  
يانائما طويل الليل ، سارت الرفقة ، طلعت شمس الشيب وما انتهت .  
ولا وردت ماء مدين ولا جدت عليه أمة من الناس يسقون .

واسحرة القوم ، ما أضوأها ، قاموا على أقدام التحير بين كيس الحذر ،  
وشارع الشوق ، فسترهم ذيل الليل تحت خيم الظلام ، إن ناحوا فأشجى من  
يبتهم ، وإن ندبوا فأصح من خنساء .

سقوا بمياه أعينهم هناك الضال والرندا  
بأنفاس كبرق في أنين يشبه الرعدا

لاحت لهم الجادة فلها سلكوها قالوا : ربنا الله . ثم استقاموا .

هيات منك غبار ذلك الموكب

أملهم أقصر من فتر ، ومنازلهم أفقر من قفر ، أخبارهم أرق من النسيم ،

(١) أى ردى كلاء الأجاج وهو الملح .

(٢) يشير إلى قصة موسى وفناه .

نومهم أعز من الوفا ، السهر عندهم أحلام من إغفاءة الفجر ، كلما افتتحوا  
سورة وجدوا لها وجد يعقوب بقميص يوسف .

احضر وقت السحر مع القوم حين تفريق الخلع ، فإن كنت تصلح  
أسهمت من نصيب « وإذا حضر القسمة أولوا القربى » .

لو صدرت عن صدرك صعدها أنفاس الأسف ، لأنثارت سحابا يقطر من  
قطره قطر يصلح لواسطة العقد ، لو أرسلت عبرة على جفاء الجفا عاد زبد  
الزلل جفاء ، أبواب الملوك لا تطرق بالأيدى ، ولا تضرب بالأحجار ، بل  
بنفس المحتاج .

وعذرى إقرارى بأن ليس لى عذر

إذا سارت ركائب الأسفار فابعت معها رسالة مضمونها : تلهف مغيون  
عل حسرة محصر .

ياسائق العيس ترفق واستمع      منى وبلغ إن وصلت عنى  
عرض بذكرى عندهم عسام      إن سمعوك ساموك عنى  
قل ذلك المحبوس عن قصدكم      معذب القلب بكل فن  
يقول \*أملت بأن أزوركم      فى جملة الوفد نخاب ظنى

## الفصل الخامس والثلاثون

يا طالب البقاء فى غير معدنه ، يامقدرا للنجاة فى عنقه التلف ، بادر عمرا  
يهدمه العمار ، ألبس البقاء الفناء ، كفى بالانتهاقصرا ، ويحك ، أخرج بالزهد  
من هذا الفناء إلى حضرة القدس وإعراض النفس ، فهناك لا يتعذر مطلوب  
ولا يفقد محبوب .

يا هذا ، إعرف . أدلتك للطريق قلبك ، وأجهل الكل بالسبيل نفسك ،  
سر على وفاق القلب لاعلى مراد النفس .

هوى ناقتى خلبنى وقد ابنى الهوى وإنى وإياها مختلفان  
ياذا الهمة اركب مطايا الجد ، وإن طال السرى ، علامة التوفيق فصم  
عرى التوانى ، وآية الخذلان مسامرة الأمانى .

الهوى يحرض على العاجل ، فلو لاحت لليقين عزيمة لإقدام تكص على  
عقبه ، يا محب الدنيا قيمتك محبوبك ، لو علت همتك لارتفعت عن الدنيا ،  
تدعى الخلة (١) وأين أنت منها ، لاح لك من الهوى أقل شيء فأثرته علينا ،  
لقد كان دينار عملك مستورا لولا محك (٢) ، ولنبلونكم .

وفى حالة السخط لاقى الرضا يبين المحب من المبخض  
قلبك غائب فى طلب الدنيا ، فقد ضاع الحديث معك ، إن الهدف إذا  
انهدم بطل النشاب (٣) قلعت سكر الهوى ، فردمت به باب القلب  
فلم يتحرك .

ليس يحيك الكلام فى همم أقربها منك عنك أبعدها  
خرجت من عمران التقوى ، فوقعت فى قفر الزلل ، عزك سراب الطمع ،  
فمت صريع الظمأ ، انقرض العمر فى محاق (٤) الغدر .

ومن العناء رياضة الهرم

كم عزمت على طاعة وتوبة ، ما لليلى الهوى ما تبصر توبة ، تبيت من العزائم  
فى شعار أويس (٥) فإذا أصبحت أخذت فى طريق قيس .

(١) يعنى الحجة .

(٢) ما تختبر عليه الدرهم وغيرها من الجواهر .

(٣) الهدف شاخص تصوب إليه السهام والنشاب السهام .

(٤) القمر فى أواخر الشهر القمرى .

(٥) أويس القرنى رأس الزهاد والمقصود أن صاحب الهوى يهدى فى قوى العزيمة .

تنقض مرر (١) العزائم عروة عروة ، وكل صريع بالهوى رفيق عروة  
كم دفنت كثيرا من الأعزة ، وهل يرجع كثير إلى عزة ؟  
جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوى من جنون جنون

## الفصل السادس والثلاثون

أصدق في باطنك ترى ماتج في ظاهره ، رش سهم عملك بريش  
إخلاصك في مقصدك تصب هدف الأمل ، وإعجابا !! قوسك مكسور بالزلزل  
ووترك مقطوع بالكسل ، فكيف تنال صدر العرض .

إذا أردت العلو فارتق درج الهوى ، وإن شئت العز فضع جبهة التواضع  
وإن أردت الرياسة فارفع قواعد الإخلاص ، فوالله ماتحصل المناصب  
إلا بالمناصب ، والمبهرج (٢) وإن نفق مردود .

وقد يتزى بالهوى غير أهله

إذا نزلت عن مطية الإخلاص ، مشيت في حَسَك التعثير ، فتقطعت  
قدم القصد ، ولم تقطع المنزل . النفاق أعظم من الرياء ، والرياء ، نفاق المنافقين  
صير المسجد مزبلة ، فقام المنزه « لا تقم فيه أبدا » .

وإخلاص المخلصين رفع قدر الوسخ « رب أشعث أخبر » ، إذا هبت  
زعازع المناقشة لم تضر شجرة الإخلاص ، لأن أصلها ثابت ، فأما شجرة  
الرياء فعند نسيم « ووقد منا إلى ما عملوا من عمل » ، « اجتثت من فوق الأرض » .

لاتنظروا إلى جولة الباطل ، وارتقبوا دولة الحق ، إذا رأيت منافقا قد  
تبع فتذكر الدجال غدا والسامري بالأمس ، وانتظر للسامري لأمساس  
وللألباب لد .

(١) جمع مرة بالكسر وهي القوة .

(٢) المزيف من الدراهم ، ونعق أى راج .

شجرة الصنوبر تتم في ثلاثين سنة، وشجرة الدباء تصعد في أسبوعين، فتدرك الصنوبر ، فتقول شجرة الدباء : إن الطريق الذي قطعت في ثلاثين سنة قطعته في أسبوعين ، فيقال : لك شجرة ولى شجرة. فتجيبها : مهلا إلى أن تهب ريح الخريف كم متشبهه بالصالحين في تخشعهم ولباسهم وأفواه القلوب تنفر من طعم مذاقه « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » :

في ظلمة الليل يتشبه الشجر بالرجال ، فإذا طلع الفجر بان الفرق . في صدر الضحى يمثل السراب بالماء . فمن قرب منه لم يجده شيئا .

أما الخيام فإنها حكيمهم وأرى نساء الحى غير نساته

تراهم كالنمل ، وما تدرى ما الدخل، أيها المرأى ، لمن ترائى ، لاتنقش على الدرهم الزيف اسم الملك ، فما كل سوداء تمره ، ولا يتبرج الشحم بالورم .

## الفصل السابع والثلاثون

مجلس الذكر مآتم الأحزان، هذا يبكى لذنوبه ، وهذا يبكى لعيوبه ، وهذا على قوت مطلوبه ، وهذا لإعراض محبوبه .

يتشاكى الواجدون جوى واحداً والوجد ألوان

أتدرون هذا الكئيب لمن أن ، وهذا الحزين كيف حن ، ذكر عهدا كان قد صفا ثم تكدر ، فانزعج الحال وتغير .

منازل كنت تهواها وتألّفها أيام أنت على الأيام منصور

من سمع نوح الحمام ظنه لحن بلائه ، بل لما ذكر من ماضى العيش :

وإذا الغريب صبا إلى أوطانه شوقا فعنناه إلى أيامه

إنما يبكى المذنب على ديار عمرتها التقوى كيف أحربتها الذنوب .

إذا ذكرت نجدًا وطيب ترابه وبرد حصاه آخر الليل حنت

يامن كانت له معاملة فترك ، يامن سخم الدستور وضرب على الحساب ،  
زمان الوصال يستحق البكاء ، أطلال الحبيب تستوجب العزاء .  
ماء النقيب ولو مقدار مضمضة شفاء قلبي وغير الماء يشفيني  
الوقت يقتضيك يا عاصي ، فادر بالتوبه . منادى الوصال على باب القبول  
يصيح : وسارعوا .

الغيم رطب ينادى يا غافلين الصبوح  
فقلت أهلا وسهلا مادام في الجسم روح  
يامن كان له قلب : أين قلبك :  
يا زمان الخيف هل من عودة إلى مغناك ذاك الأرحب  
إن كنت قد فقدت قلبك فلا تيأس من وجوده :  
فقد يجمع الله الشيتيين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا  
سر في بوادي الطلب مستغيثا وقل :  
ردوا على ليالي التي سلفت لم أنسهن وما بالعهد من قدم

ودع طبعك لسفر التوبة ، وارق شرعك في طريق الصحة ، واجهد  
راحلتك لتلحق الرفقة ، وتهيا للإحرام قبل الوقفة ، وانفذ لواعج الشوق  
إلى منى قبل نخلة ، لعل رسالة الحب تصل إلى صاحب الكعبة ، الأطلال شوق  
الأبرار إلى لقائي ، ويأتي الجواب ، وإني إلى لقاءهم أشوق .

## الفصل الثامن وثلاثون

لا تعجوا بصورة التعب ، وتلهجوا حسن المقصد ، ليس كل مصل بمتعب ،  
ولا كل صائم بزاهد ، ولا كل مستمع بخاشع ، ولا كل متصوف بصاف .  
وما كل من أوى إلى العزائه ودون العلاضرب يدمى النواصيا

ليس كل مستدير يكون هلا . لا . لا .

ليس التكحل في العينين كالكحل

كم حول معروف من دفين ذهب اسمه لما بلى رسمه ، ومعروف معروف  
ولا دار أقفرت دارة الحمى ولا كل بيضاء الترائب زينب  
ذهب أهل التحقيق ، وبقيت بنيات الطريق ، وبعجا لقد رحل القوم ،  
وبقى أهل السنة ، خلعت البقاع من الأحباب ، وبتدلت العمارة بالحراب .

يادار الأحباب عندك خبر أين ساروا ، وهل لهم مستقر .

كان المشايخ في قديم الزمان أصحاب قدم ، والمريدون أصحاب ألم ، فذهب  
القدم والألم . كان المرید يسأل عن غصة ، والشيخ يعرف القصة ، واليوم  
لا قصة ولا غصة .

كان الصوفية قديما يسخرون بالشیطان ، والآن يسخر الشيطان بالقوم ،  
كان الزهد في بواطن القلوب ، فصار حيثئذ في ظواهر الثياب .

سلام على تلك الخلائق لأنها مسلبة من كل عيب ومأثم

ويحك : صن قلبك لاجسمك ، وأصلح نبتك لامرقتك ، إذا كان  
العكسوى ثابت النسب لم يحتج إلى ضفيري تين ، أتحدو ومالك بعير ، أتمد  
القوس وما لها وتر ، أتجشأ من غير شع .

واعجبا ! من وحى بلا حبل ، إن لم تكن يعقوب الأمل ، فلا تكن  
زليخا الهوى ، وأأسفا لقلوب إذا بها حب الدنيا ، ولأسماع آمالها حديث  
خرافة يتلاعب بها الغرور في بحر الهوى تلاعب الموج بالعريق .

صح بالمنقطعين في بوادي الغفلة ، ترى أي ذنب اقتطعهم ، أين تعبد  
سرى ، أين جود الجنيد ، أين مجاهدة أبي يزيد ، أين جوع الشبلي ، ياراضيا  
بصفة ابن آدم ، أين عزم إبراهيم .



أما الخيام فإنها كخيامهم

انكسر مغزل رابعة ، وبقى قطن الحلاج .

لم تبق إلا روايات وأخبار

أيها الحادى بأحداج الجمال لا تنح بالربع إن الربع خالى  
ماعسى ترتجى منى ومنى أقفرت من أهلها فهى بوالى  
لطف نفسى لليال سلفت آه لو ترجع لى تلك الليالى  
لا تنقل لى بمنى نلت المنى بمنى كان من القوم إنفصالى

### الفصل التاسع والثلاثون

أيها المبتلى بيب الدنيا وما ينال منها إلا ما قدر له ، كم تقول لا ترزق ، هذا موسى يقول : أرنى ، وما رآى ، ومحمد يزعم من منامه ليرى وما طلب .

فقضاها لغيرى وابتلانى بجمها

يا هذا . محبة الدنيا محبة عناء به مات المحبون ، إن أقبلت شغلت ، وإن أدبرت قتلت .

ويلاه إن هى أقبلت أو أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم  
ويحك ، إن الفقر أصلح لك ، وإن القصد أرفق بك ، غير أن الهوى لا ينظر العواقب .

كم فى طى مكروهك من مصلحة ، لو زالت غشاوة العين أبصرتها ، سبحان من قضى على العقل الكامل بمداواة الطبع الجاهل .

ناظر العقل إلى الأخير (١) ناظر ، والطبع لا يرى إلا الحاضر ، كم يتعب

---

(١) أى إلى الطبع الجاهل .

الشيخ في تقويم الطفل إنك لو فسحت لنفسك في هواها لضيقك عليك طريق الإخلاص .

إنها لتبذّر بضاعة العمر بكف التمزيق كالخرقاء وجدت صوفا ، يامستغيثا من الفقر بالسنة الشكوى ، حبس الفقر حصن ، إنه داء الكريم .

الفقر جب ، والفاقة غيابة ، والشهوات رق ، والدنيا سجن المؤمن ، فيا يوسف الطلب ذق مرارة الحب . وكمد العناية ، وصابر رق البيع ، ودار دار السجن ، لعلك تخرج إلى مملكة ، اجعلني على خزائن الأرض .

دافع ليل البلاء فما أسرع فجر الأجر ، « أليس الصبح بقريب » .

فقر الدنيا عدم كله وجود ، والغنى فيها وجود كله عدم ، عرضت على نبينا صلى الله عليه وسلم بطحاء مكة ذهابا فأبى ، يا محمد من تعلمت القناعة ، قال لسان الحال : من شره أبى ، كان الرجل من الصحابة يدعى إلى المال حلالا فيقول : لا . لا .

يامعاشر الفقراء ، زينوا حلة الفقر بحلية الإيمان ، فالمعطي المانع ، والفقراء الصّبر جلساء الله .

إصبروا على عطش الفاقة ، فالحرّة تجوع ولا تأكل بشديها ، إن سأتم فسلوا مولاكم ، فإن سؤال العبد غير مولاة تشنيع على السيد .

يامعاشر ألقا فلين الواقفين مع الأسباب ، إنما المعطي والمانع واحد ، فلا تجعلوا لله أندادا .

إذا عرضت بلية فتعرضوا بالمحراب ، وأكتفوا من السؤال بالخدمة ، فإننا لانضيع أجر من أحسن عملا .

أتشغلون بنا وننساكم ؟ كلا . من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم  
ويحك ! إن الفقير الصادق ترك الدنيا أنفه ، رآها قاطعة فقاطع ، جاز  
على جيفة مستحيلة فسد منخر الظرف وأسرع ، لما سلك سبل القناعة وقع  
على كنز ما وقع عليه الإسكندر ، فقلبه أغنى من قارون ، وبيته أفرغ من  
فؤاد أم موسى .

ومن كان في برد القناعة رافلا  
أصاب الغنى في الفقر والخصب في المحل

إذا حشروا يوم القيامة بادرُوا باب الجنة ، فتقول لهم الملائكة : قفوا ،  
فهذا موضع الحساب ، فينفضون أكام الإدلال من يد المعوق ويقولون :  
هل أعطيتُمونا شيئاً تحاسبوننا عليه ؟

الصبر مثل اسمه في كل نائبة لكن عواقبه أحلى من العسل  
ويحك ! كلما عاش أملك مات الفقير .

كأننى كلما أصبحت أعتبه أخط حرفاً على صفح من الماء  
واجباً لمن يجمع المال جمع الثريا نفسها ، كيف تأتي الأقدار فتفرقه  
تفريق نبات نعش . يا كدر القلب ، أثار كدر باطنك ما تحفى على ناظرِك .  
أسرار القلوب تبين في صفحات الوجنت ، لو سمعت كلامي بقلبك كان  
طول الأسبوع نصب عينيك ، إنما تسمعه بأذنك ، وفرق بين السامعين .  
كثر المال على الصديق وثعلبة ، ووقع التفاوت بين النحل  
والنحال (١) .

وليس ذوات الخلب السبع

(١) النحال كناية عن ثعلبة . والنحل كناية عن الصديق لأنه باذل بلا عوض .

أما حب الدنيا عندك فراسخ ، وأما قلبك من الموعدة فعلى فراسخ (١)  
وإذا غلب الهوى فمن نبيه، وإذا غلب القلب فمن نحدث .

إذا كان قلبي موثقا في جبالكم وجسمي لديكم كيف أفهم عنكم

## الفصل الأربعون

يا مشغولا بالعمل للدنيا ، والدنيا تعمل فيه ، تجمع ما يفرقك ، وتوصل  
ما يمزقك ، ويحك ! أتبنى قصرا وتهدم مصرا .

يؤذى الهوى الآدمي ، وعلاجه في الحسم ، متى استعصى الداء فالكي أنفع ،  
ما يفيدك من جار السوء ، وليتك منه تسلم ، المال كالماء كلما زاد غرق ،  
قنعت العنكبوت بزواية البيت ، فسيق الحريص إليها وهو الذناب ، فكان  
قوتها لها ، وصوت بك نذير العبرة ، درب ساع لقاعد .

ويحك !! طلق كواذب الآمال لتكون وارث مالك ، أعظم المغبونين  
حسرة من نفع كده لغيره ، أفضل أعمال البخيل الصدقة ، لأنه يحارب سبعين  
شيطانا أصغرها إبليس وأعظمها نفسه ، وجنودها أقوى ، ومن يقوى بأسد  
الحرص وكلب الهوى ، وحنيز الشرة صعب حربه .

امدد يدك بالصدقة ، فإن لم تطلق فاكفها عن الظلم ، أطلق لسانك  
بالذكر ، فإن لم تستطع فاحبسه عن الغيبة ، كم يقف السائل سائل الدمع على  
باب الذل لديك ، فتقول هذا الجائع عند الشبعان هذيان .

ويحك ! إن الصدقة صداق الجنة ، قد أربح جميع الأكياس جمع الأكياس  
من ذا الذي يفرض الله فرضا حسنا ، انظر في أخلاق الفقير لاني أخلاقه .

وما ضر نصل السيف إخلاق غمده

(١) راسخ الأول من الرسوخ . والثانية جمع فرسخ .

إن أعطيت فأحذر من الرياء ، فإن سلبت منه فأياك والمن ، كان الفضيل ميتا بالجهل وابن آدم مقتولا بالهوى ، والسبتي هالك بالمالك ، والشبلي من جند الجنيد ، فنفض في صور التوفيق للإيقاظ ، فانشقت عنهم قبور الغفلة ، فصاح إسرافيل الاعتبار « كذلك يحيي الله الموتى » .

إنما سمع الفضيل آية فذلت نفسه واستكانت ، وهي كانت ، إنما زجر ابن آدم بموعظة واحدة . هاتف عاتب ، ولائم أخرجه من بلخ إلى الشام . كانت عقدة قلوبهم أنشودة ، وسد قلبك كله عقد ، أقبلت ديم المواعظ على ندا أرياض القلوب ، فالتقى الريان ، كانت الأعمال تعرض عليهم فيرون الخيانة نقض عهد الزهد .

حلفت بدين الحب لاخنت عهدكم وتلك يميني لو عرفت غموس  
كان الفضيل قد تعود البكاء فكان يبكي في نومه حتى ينتبه أهل داره ، وكان ابن آدم من شدة خوفه يبول الدم ، وكذلك سرى .

إذا خرجت القلوب بالتوبة من حصن الهوى ، إلى بيداء الفكر ، جرت خيول الدمع ، في حلبات الوجد كالمرسلات عرفا ، فإذا استقام زرع الفكر قامت العبرات تسقى ، ونهضت الزفرات تحصد ، ودارت رحي التحير تطحن واضطربت نيران القلوب تنضج ، فحصلت للقلوب مطبة يتقوى في سفر الحب .

اسمعوا بجرمة الوفا ، فما كل بطل شهيد ، طالما أهملتم أراضى القلوب بالهوى ، فأحيوها بوابل العبرات .

إذا أخرجتم من المجلس فلا تذهبوا إلى البيوت ، واطلبوا هذه المساجد الخراب ، وضعوا وجوهكم على التراب ، واستغيثوا بالسنة الفارقة من قلوب قد أحرقتها الأسف على ضياع العمر في الهوى .

وإن شقاني عبرة مراقبه فهل عند رسم دارس من معول

## الفصل الحادى والأربعون

يا جامد العين اليوم ، غدا تدنو الشمس من الروس ، فتفتح أفواه مسام العروق فتبكي كل شعرة بعين عرقها ، كأنك بالسماء قد نفضت أكامها لسرعة مورها ، وانتثرت النجوم ، ويوسف الهبة قد برز فقد قيص الكون .

نفخة فم الريح اليوم تحرك السحر ، ننخه من فيه في الصور تعمل في الصور . نفخة نفخة الشتاء في صور البرد أماتت صور الأشجار . ونفس نفس الريح أعاد الروح ، ريح الدنيا بين مثيرة ولوائح ، والصور تثير دفائن الأبدان .

## الفصل الثانى والأربعون

يامن مطية عمره قد أنضاه الحرص هلا كيففتها ؟ قليلا بزمام القناعة ، فرب جد أعطب ، ورب أكلة تمنع أكلات ، وكثرة الماء شرق أو غرق .  
أخل بنفسك في بيت العزلة ، واستعن عليها بعذول اللوم ، ونادها بلسان التوييح ، إلى متى وحتى متى د ألم يأن . .

سرق لص الشيب رأسمال الشباب ، فأصبحت مفلس العمر .

فهل لى اليوم إلا زفرة الندم

يا نفس ، ذهب عرس بلقيس ، بلى جمال شيرين ، وتمزق فرش بوران ، وبقى نسك رابعة . كانت أيام الشباب كفضل الربيع ، وساعاته كأيام التشريق ، والعيش فيه كنور الربيع ، فأقبل الشيب بعد الفنا ، وتوعد بصفر الإنا ، فأرض مشدود أطناب العمر ، ونقض مشيد مرائر التقوى .

أديل ضعف الشيب على الشباب ، فعمل معول الوهن وراء الجلد فى الجله ، فصار مربع الحياة قفرا قد حلت بطاحه ، ومربع اللهو وهنا تذروه

الرياح ، فإن الهالك من ضل في آخر سفره ، وقد قارب المنزل .  
أبقى بعد الشيب منزل غير البلى أبل . أنت تدرى أين تنزل ، مرحلة  
الشيب تحط على شفير القبر وقد اتخذت من رأى الأمل حصنا ، فها هذا  
الأمل .

أطلب ربيع ، وأنت في ذى العقيدة ، اللذة سلاف ، ولكن مزاجها  
زعاف ، اتباع الهوى عار في العاجلة ، ونار في الآجلة . ومن يبصر يبصر .  
أيضاً الخائض في الدنيا أن له فراغاً عنها ، هيهات ، ماتفرغ منها لإمن  
أطرحها .

فما قضى أحد منها لبانة ولا انقضى أرب إلا إلى أرب

كلا ، إن الذى يقطعه عن الإنابة اليوم معه في غد ، وما يزيد مرور الأيام  
إلا رسوخاً بدليل . يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان ، يطلب أن يتال  
رضاه في غاية لاتنال ، وإنما وجد الراحة في الدنيا من خلاها ، لا من خاللها .  
لاح لهم عينها فما ضيعوا الزمان في النوم ، تلقتهم خطرات الرياضة على  
الرياض فاستوطنوا فردوس الأنس في قلة طور الطلب .

يامؤثراً على بساتين القوم مقابر النوم ، ليس في طريق الوصال تعب .  
إنما التعب مادام في النفس بقية من الهوى ، الظلمة ليل لاليلي .

والله ماجئتكم زائراً إلا رأيت الأرض تطوى لى  
ولا انثنى عزمى عن بابكم إلا تعثرت بأذيالى  
المنحرف ضال عن الجادة ، يا هذا طر .

بجناح الخوف والرجا من وكر الكسل  
على حد مستقيم الحد لاتعدل عن العدل  
فإذا أنت في مقعد صدق .

## الفصل الثالث والأربعون

وقت العارف جدك له ، لعلمه بشرف الزمن ، النهار مطالب بحق الملك ،  
والليل يقتضى دين الحب ، فلاوجه للراحة .

لماعا ينت أبصار البصائر يوسف العواقب ، قطعت أيدي الهوى بسكين  
الشوق ، فولوج الجمل في سم الخياط أسهل من دخول اللوم في تلك الأسماع .  
فإذا حان حين الحين فرح سائر الليل بقطع المنزل ، وصاحت أسنة الجد  
بالماذلين ، فذلكن الذى لمشتنى فيه . .

قلوب أبت أن تعرف الصبر عنهم

فكيف يستامها مفلس

غيره :

وكيف ينال المجد والجسم وادع وكيف ينال الحمد والوفر وافر  
كلما تعاضمت الهمم تصاغرت الجثث .

وألست ترى الأجسام وهى ضئيلة نواحل إلا والنفوس كبار  
قال يحيى بن معاذ : لتكن الخلوة بيتك ، والمناجاة حديثك ، فإما أن تموت  
بدائك ، أو تصل إلى دوائك :

لاتزل بي عن العقيق ففيه وطرى إن قضيته أوفنجي  
لارعت السوام إن قلت للصحة حتى أوقلت للعين هي

دخلوا على أبي بكر النهشلي وهو فى السوق ، وهو يركع ويسجد ، دخلوا  
على الجنيد وهو فى النزع وهو يصلى ، فسلبوا عليه فرد عليهم وقال : هذا  
وقت يؤخذ منه : الله أكبر :

إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم جعلت اشتغالى فيك يامنتهى شغلى



فن لي بأن ألقاك في ساعة المنى ومن لي بأن ألقاك والكل لي من لي  
دارت قلوبهم في الخوف دوران الكرة تحت الصولجان ، فلصقت بها  
أكف الأشيخان في فلوات المحبة ، فمن بين سكران بيت ، وبين منبسط يقول ،  
وبين خائف مستجير .

إذا لعب الرجال بكل فن رأيت الحب يلعب بالرجال  
نجائب أبدانهم أنصاها سير الرياضة ، تجوهرت أرواحهم في بوتقه  
الجسم ، فتراها في سفر الشوق بلسان مشغول بالذكر ، والسر مغلوب بالوجد  
والعين عين الخوف ، والنفس هاربة إلى دار الزهد :

إنما أهرب مما حل بي منك إليك

كان الحسن كأنه حديث عهد بمصيبة ، كان يبكي حتى يرحم ، وكان مالك  
ابن دينار قد أسود طريق الدمع على خده .  
ومن قلبه مع غيره كيف حاله

ومن سره في جفنه كيف يكتم

كان عطاء السلمي يبكي في غرفته حتى تجرى دموعه في الميزاب ، فقطرت  
دموعه يوما ، فصاح رجل : يا أهل الدار ، ماؤكم طاهر أم نجس ؟ فقال له  
عطاء : يا هذا ، بل نجس فاغسله . فإنه دموع من عصي الله .

كان داود عليه السلام يؤتى بالإناه ناقصا فلا يشربه حتى يتمه بدمعه .

ياساقى القوم إن دارت إلى فلا

تمزج فإني بدمعي مزج كأس

## الفصل الرابع والأربعون

بامستفتحا باب المعاش بغير مفتاح التقوى كيف يوسع لك طريق  
الخطايا ، وتشكو ضيق الرزق ، ولو اتقيت ما غير عليك مطلوب .

مفتاح التقوى يقع على كل باب ، مادام المتقى على صفاء التقوى لا يلق  
إذا أذى ، فإذا انحدر عن التقى التقي بالكدر .

فلما توليتم علينا تولينا

لا تزال بحار النعم على الخلق في زيادة حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ويحك !!  
إنما خلقت الدنيا لك ، أفجعل عليك بما هو في ملكك ، إنما في طبعك شره ،  
والحمية أرفق .

يا أعز المخلوقات علينا ، أرض بتدبيرنا ، المحب لايتهم ، وإنعامنا على  
ما خلق لك لا يخفى عليك ، فكيف ننسأك ، وأنت الأصل .

ليس العجب تغذى المولود في حال الحمل بدم الحيض لاتصاله بالحى ،  
إنما العجب أن البيضة إذا انفصلت عن الدجاجة ، فمن البياض يخلق الفروج ،  
وبالمح صفار البيض يتغذى .

فقد أعطى المخلوق زاده قبل سفر الوجود ، إذا انفجأت بيضة الغراب  
خرج الفرخ أبيض ، فتنفّر عنه الأم ، لمباينته لونها ، فيبقى مفتوح الفم ،  
والقدر يسوق إلى فيه الذباب ، فلا يزال يتغذى به إلى أن يسود لونه ، فتعود  
إليه الأم .

فانظروا إلى شفقة طير الرحمة ، ألهم النملة ادخار القوت ، ثم ألهمها  
كسر الحب قبل إدخاره ليلا يثبت ، والكزبرة إذا انكسرت فلقنتين فإنها  
تثبت ، ولذلك تكسرها أربعا .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

لو رأيت العنكبوت حين تبنى بيتها ، لشاهدت صنعة تعجز المهندس ،  
إنها تطلب موضعين متقاربين ، بينهما فرجة يمكنها مد الخيط إليها ، ثم تلتقي  
لعبها على الجانبين فإذا أحكمت المعاهد ، وركبت القمط كالسدا ، اشتغلت  
باللحمة ، فظن الظان أن نسجها عبث ، كلا ، إنها شبكة للبق والذباب ، وإنها  
إذا أتمت النسج انزوت إلى زاوية ترصد رصد الصائد .

فإذا وقع في الشبكة شيء قامت تجنى ثمار كسبها ، فإذا أعجزها الصيد طلبت  
لنفسها زواية ، ووصلت بين طرفيها بخيط ، ثم علقته نفسها بخيط آخر ،  
وتنكست في الهواء تنتظر ذبابة تمر بها ، فإذا دنت منها رمت نفسها إليها ،  
فأخذتها ، واستعانت على قتلها بلف الخيط على رجلها .

فترأى علبت هذه الصنعة بنفسها؟ أو قرأتها على أبناء جنسها؟ أفلا تنتظر  
إلى حكمة من عملها ، وصنعة من فهمها .

لقد نادى عجائب المخلوقات على نفسها ، ترشد الغافلين إلى باب الصانع ،  
غير أنهم عن السمع لمعزولون .

## الفصل الخامس والأربعون

خلقنا تتقلب في وادى الأسفار إلى أن يستقر بالقوم المنزل . السفر  
الأول من السلالة من الطين . السفر الثانى سفر النطفة من الظهر إلى البطن ،  
السفر الثالث من البطن إلى الدنيا ، السفر الرابع من الدنيا إلى القبور ،  
السفر الخامس من القبور إلى العرض . السفر السادس من العرض إلى  
منزل الإقامة .

قد قطعنا نصف السفر وما بعد أصعب ، إخوانى ، الستون مراحل ،  
والشهور فراسخ والأيام أميال ، والأنفاس خطوات والطاعات رهوس  
الأموال ، والمعاصى طريق والريح الجنة والخسران النار .

ولهذا الخطب شمر الصالحون عن سوق الجد في سوق المعاملة ، وودعوا  
بالكأية ملاذ النفس . كلما رأوا مراكب الحياة تخطف في بحر العمر شغلهم  
هول ما هم فيه عن هوى النفس في عجائب البحر ، فما كان إلا عن قليل حتى  
قدموا من السفر ، فاغتقتهم الراحة في طريق التلقى .

فدخلوا بلد الوصل ، وقد حازوا ربح الدهر

يا جبان العزم لو فتحت عين البصيرة فرأيت يانسان الفكر ما نالوا لصاح  
لسان الطيف « ياليتني كنت معهم » .

أين الأرض من صهوة السماء ، ما تدرى ما أنت ، ولا تدرى من هم .

يا قلب ما أنت من نجد وسائله

خلفت نجدا وراء المدج السارى

أهفو إلى الركب تعلقى ركائبهم من الحمى فى أسىحاق وأطار

تقو ح أرواح نجد من ثيابهم عند القدم لقرب العهد بالدار

يارا كبان قفالى واقضيا وطرى وحدثانى عن نجد بأخبار

هل روضت قاعة الوعساء أو مطرت

خميلة الطلح ذات البان والغار

أم هل أبيت ودارى عند كاظمة

دارى وسمار ذاك الربع سمارى

فلم يزالا إلى أن نم بى نفسى

وحدث الركب عنى دمعى الجارى

ويحك ! فى صنديق هذه الأيام أودعت بضائع القوم ، فى هذه المزرعة

المخللة بذرو حب الحُب . فإذا حصدوا نادى .

أجارتنا إنا غريان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

حل ركب المحبة فى ظلام الدجى ، فصبح القوم المنزل ، ونحن على غير

طريق ، وأسفاه من قلة الأسف ، واحزنناه على عدم الحزن ، قفوا على  
آثار السالكين لعله يلحق المنقطع .

ياساكننا بالبلد البلقع وياديوار الظاعنين اسمعى  
ليست بأطلالى ولكنها رسوم أحبابى فنوحوا معى

ياديوار الأحباب أين سكانك ؛ يامربع الألباب أين قطانك ، هالإنها  
منازل تعودت منى إذا شارقتها التسليما .

يامتخلفا ماجاء مع المعتذرين ، رحل الركب فى زمان رقادك ، فإذا قت  
من الكرى فأقم مأتم الذب ، قف على الرسوم وإنك على انقطاعك ، لعلك  
تؤنس رفيق « تجدى » .

إذا جزت بالنور عرج يمينا فقد أخذ الشوق منا يمينا  
وسلم على بانه الوادين فإن سمعت أوشكت أن تبينا  
وروى ثرى أرضهم بالدموع واخل الضلوع على ماطينا  
أراك يشوقك وادى الأراك لك اللدار تبكى أم الساكنينا  
سقى الله مربعنا بالحمى وإن كان أورث داه دفيننا

## الفصل السادس والأربعون

إخوانى إذا قتم عن المجلس فادخلوا دار الخلوة ساعة ، وشاوروا نصيح  
الفكر ، وحاسبوا شريك الحياة ، وتلحوا تفريط الكسل فى بضاعة العمر  
وتأسفوا على ذنب كان ، أو حظ من الله فات .

البدار البدار نحو البقية ، فيكفى المفرط حزن ماضع ، لاحتقروا  
يسير الخير ، فالنود إلى النود إبل ، ضلت قلوبكم فى بوادى الهوى ، فقوموا  
على أقدام الطلب ، وألقوا أزمة السير على حالتى الأسف والندم ، وتحسسوا

من يوسف ، وجد وافي نشدان ضالتكم ، ولا تأسوا من روح الله ، فكم  
شقي من أشقى على الهلاك .

عرجوا بالرفاق نحو الركب      وقفوا وقفة لأنشد قلبي  
وخذوا لي من النصيب لماماً      أوردابي إلى العذيب وحي  
فهبوب الرياح من أرض نجد      قوت روحي وجبذا من مهب  
يانسيم الصبا ترنم على الروح      بصوت يشجي وإن طار لي  
من معيد أيماننا بلوى الجزر      ع وهيات أين مني صحبي

واعجبا : ما أنضر الأجساد ، لكن فُقد نظر القلوب ، إذالم يجر جاك  
الربيع وأزهاره ، والسماع وأوتاره ، فمن أنت ، أو فما أنت ؟

ويحك : نوح الحمام غزل لو كان في قلبك محبة ، فابك بكاء الجنيد لعلك  
تقع بسر سري ، بع مال الهوى فيمن يزيد إن شئت لحاق أبي يزيد .

كم دعتك فرصة لو كنت أجبتها ، وإن جناب الباب لفسيح ، غير أن  
الجهل مطرود ، ويحك : قد لاحت نار القرب من زناد المواعظ فقم على  
أقدام الطلب لعلك تجد على النار هدى .

لاي مرمي ترجر الأيانقا      إن جاوزت نجدا فلست عاشقا  
وإنما كان بكائي حاديا      ركب الغرام وزفيرى سائقا  
واعجبا من الواقفين على مواقف إن وفقنا ، ثم لا يعترضون لنجائب  
القبول ، إن يريدون لإفرازا .

ويحك ادنت عساكر البطالة فانفروا خفافا وثقالا ، خذوا من الدنيا  
قدر ما يعمر القنطرة ، ولعمرى إن ضرورات المعاش تعرض في وجه المراد  
فتعثر السالك ومن يتق الله يجعل له مخرجا .

يا هذا . إن جرى القلم بمحجوب أو مكروه فلا يكن في صدرك حرج  
منه ، دليل محبته لك في الأزل حراسة توحيدة عندك .

والتخويف سوط يسوق النفس عن ديار الكسل ، وماتظنه تعذيب  
هو تهذيب ، ورب تقويم بالكسر .

تخريق الجيب من الثواب جعله قميصا ، لولم تذبوا ، صولة الوالد تحفظ  
أصول الأدب ، وإن كان الحب في السويداء .

بكت العيون وأنت طارفا

ود تقادم عهده فصفا وجديد ود ليس يخلفه  
لما ذاق آدم وحواء من الشجرة دارا في دائرة التبختر ، فضربهما  
صولجان البعد فبطا وضارب الكرة يسعى بنفسه في طلبهما ، هل من تائب  
هل من سائل .

فلولا البعد ما حمد التذاني ولولا البين ما طاب التلاق  
ياقأما في سوق الأرياح ماذا حصلت ، يامنقطعا عن الطريق هلا وصلت .  
أتراك اشتغلت بنا أو عنا ؟

يامنكر ، يانكير ، انزلا إلى بساتين الأرياح في دار المعاملة ، فانظرا ،  
هل استصحب شوكة من الشك ، أو وردة من اليقين استسكها فه الذي قال :  
« بلى ، يوم « ألسنت ، هل غير طيبة طول مقامه في ديار الغفلة ؟ هل انجاس  
زله مما يدخل قلبها تحت العفو ، هل تجد ماء توحيده في قلب قلبه يبلغ  
قلتين (١) أنا مقيم له على الوفا بكل حال فانظر ما حال .

ألا حبذا نجدا وطيب ترابه وأرواحه إن كان نجدا على عهد  
ألا ليت شعري عن عوارضتي قبا بطول الليالي هل تغيرتا بعدى  
وعن علويات النسيم إذا سرت بریح الخزامى هل تمر على نجد

(١) يعنى لا تؤثر فيه النجاسات .

## الفصل السابع والاربعون

من تفكر في قرب رحيله تشاغل بالتزود ، لبئس ما صنع بائع نفسه  
النفيسة بالأعراض الخسيسة .

إن الروح في ذاته جوهر لا يتجزأ ولا يموت ، والجوهر لا قيمة له ،  
وإنما آلات البدن خادم له ، تعين على السفر له في زجاجة القلب .

نار كالسراج ، ضوءها الحياة ، والدم دهنها ، والحركة نورها ، والشهوة  
حرارتها ، والغضب دخانها ، وقد اتخذ من مقدم الدماغ حارسا ، ومن وسطه  
وزيراً ، ومن مؤخره حافظاً ، وجعل العقل أستاذاً ، والحس تلميذاً ، وفرق  
الأعضاء في خدمته رجالاً وركبانا ، وجعل الدنيا له ميداناً ، يحول فيه في صف  
حزبه ، لمحاربة أعدائه ، فإن غلب قهر كسرى ، وإن غلب فلا أحد (١) .

لما تيقظ الأولياء لهذا السفر خاضوا في ظلمات الطبع يقطعون بأقدام  
المجاهدة ، فلاح لهم نور الغيب فسروا ، فإذا هم على باب الوصول ، الفقر  
حليتهم ، والليل لذتهم ، والخشوع صفقتهم .  
طال حبسهم في الدنيا فضجوا إلى الحبيب ، فلو انتهت بالليل سمعت  
أصوات أهل الجبوس .

ياوقوفا ماوقفنا في ظلال السمرات  
تشاكي ماعنانا بكلام العبرات

أطيار الأشجار كلها هدلت حمام الشجون هطلت غمام العيون ، فإذا كان  
حين توفاهم الملائكة فتح القفص عن روح تطلب الروح ، فتتحير بفزعة  
« من راق ، فيهتف بها هاتف الوداد » ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، ،

(١) هنا يبدو أثر ابن الجوزي في الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ( انظر  
التدبيرات الإلهية للشيخ الأكبر ) .



فتنسى مرارة الكاس بجلاوة الخطاب ، فهون شدائد الموت .

فالجرح إذا أرضاكم ألم

يابعيدا عنهم ، أين أنت منهم ، لاتحسن الأمر سهلا .

سل سبيل أشهل ، أتصقل سيفا ليس في شبحه جوهرية ، أتحمّل صعبا  
على الرياضة ؟

وهل ينهض البازي بغير جناح

من لم يهزه يسير الإشارة ، لم ينفعه كثير العبارة ، أترى في نيل مواعظي  
مقرطس ؟ بلى ، وربما وقعت نبلة في قلب حزين ، ولم يدر الراى .

سهم أصاب وراميه بذى سلم

سر في السر على أقدام العزيمة ، وليسكن همك الظفر لالغنيمية ، فالعز  
لايناله جبان ، وإن أكتب الأقلام الأسنة .

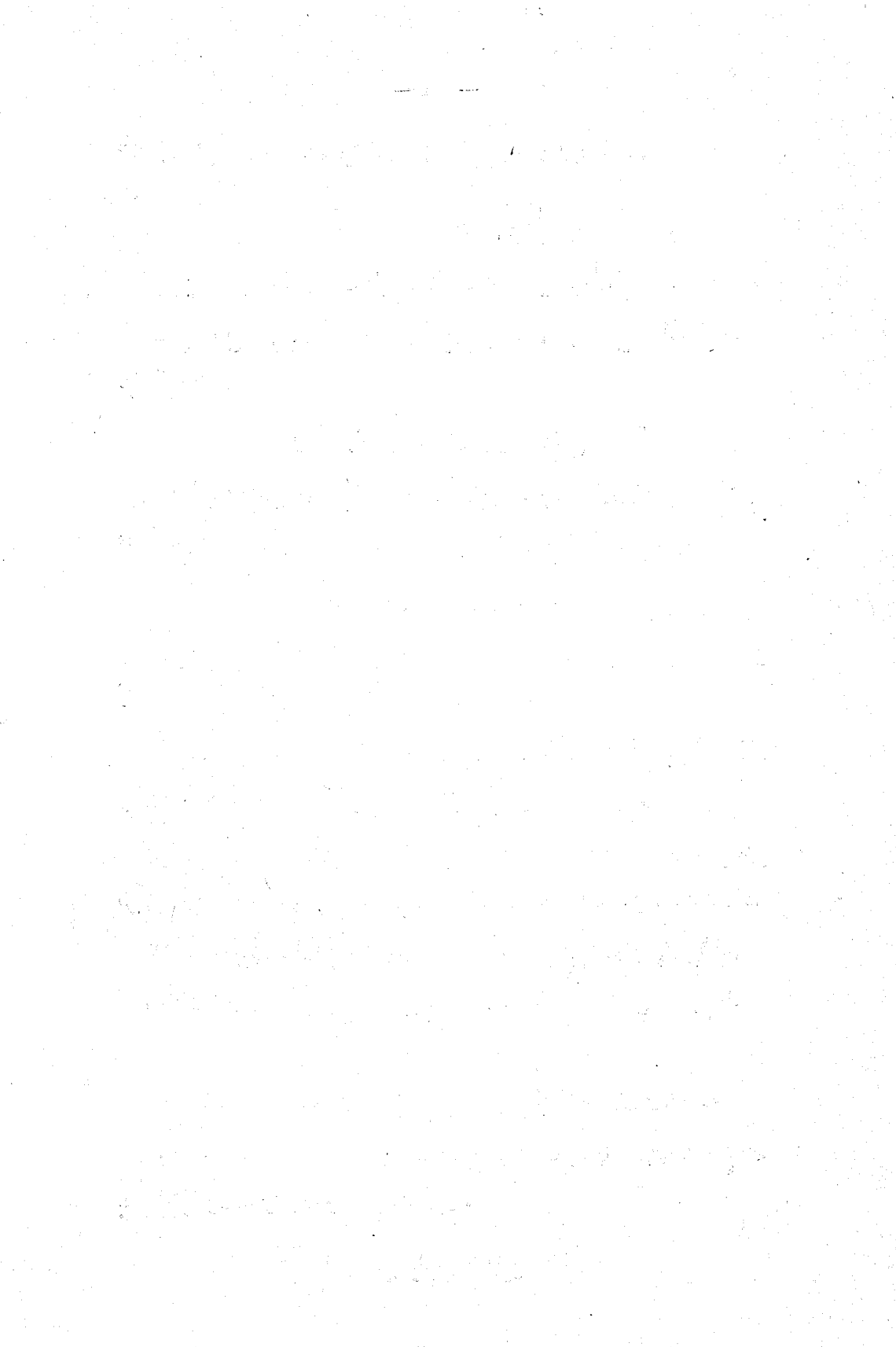
انتبه من رقاد الغفلة ، فقد طلع ضوء الشيب ، أسرع في سير الجد فقد  
رحلت الرفقة وصوت في أودية الأسحار لعلها ترحمك الساقاة .

وتلح آثار السالكين لعلك تقع على الجادة ، فإذا لحقت أعراض  
الركب فقف نفسك على خدمة الإبل ، فربما دخلت خيمة من أحبيت .

فقلت دعونى واتباعى ركابكم      أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد  
وما بال زعمى لايهون عليهم      وقد علموا أن ليس لى منهم بد

تم كتاب اللطائف للشيخ الإمام أبى الفرج ابن الجوزى رحمه الله  
وذلك فى منتصف ذى القعدة سنة سبع وثمانين وستائه ٦٨٧ هـ نفع الله  
به صاحبه وكتابه وقارئه وجميع المسلمين .

أمين يارب العالمين



## الطب الروحاني

لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي الحنبلي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى قدر الداء ودبر الدواء ، وكم وهب لمن أشفى على شفا  
الهلكة الشفاء .

أحمده على كل ما صدر عن قضائه وجاء ، وأعلق بفضله ومنه الرجاء ،  
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له نور الفضاء فضاء ، (١) وأشهد أن  
محمدًا عبده ورسوله أشرف من وطئ الأرض والسماء ، وعلى أصحابه وأزواجه  
صلاة نعم الأتباع والأولياء ، وسلم تسليما كثيرا .

لما جمعت كتابا فى طب الأبدان وسميته لقط المنافع أردت أن أشفعه  
بكتاب فى طب النفوس أسميه الطب الروحاني ، فإن طب الأبدان إصلاح  
الصور ، وطب النفوس إصلاح المعاني ، وهى أشرف ، وإلى الله سبحانه الرغبة  
فى النفع العاجل والأجل ، إنه جدير بتبليغ الآمال من منه .

## مقدمة قبل الكتاب

اعلم أن جميع ما وضع فى الآدمى إنما وضع لمصلحته ، إما لاجتلاب نفع  
كشهوة المطعم ، أو لدفع ضرر كالغضب ، فإذا زادت شهوة المطعم صارت  
شرها فآذت ، وإذا زاد الغضب أخرج إلى الفساد .

وهذا الكتاب موضوع لاستعمال قانون الصواب من خلال الباطن ،  
وكف كف (٢) الهوى عن المؤذى منها ، وعلاج ما خرج لموافقة الشهوة  
عن القانون الصحيح ، وقد قسمته ثلاثين بابا .

(٢) أى منع يد الباطل .

(١) أى أنار .

## الباب الأول

### في فضل العقل

قد اختلف الناس في ماهية العقل ومسكنه وأطالوا، وقد رويت في فضله أحاديث كثيرة ، وقد ذكرنا جملة من ذلك في كتابنا المسمى بدم الطوى فلا نعيدها بل نذكر هنا جملة فتقول :

إنما يعرف فضل الشيء بشمرته ، ومن ثمرات العقل معرفة الخالق سبحانه وتعالى ، فإنه استدل عليه حتى عرفه ، وعلى صدق الأنبياء حتى علمه ، وحث على طاعة الله وطاعة رسله ، ودبر في نيل كل صعب حتى ذلك البهائم وعلمه ، صناعة السفن التي بها يتوصل إلى ما حال بيننا وبين البحر واحتمال على طير السماء حتى صيدت ، وعينه أبدا ترأب العواقب . وتعمل بمقتضى السلامة فيها والفوز . ويترك العاجل للأجل .

وبه فضل الأدمى على جميع الحيوان الذي فقده ، وبه تأهل الأدمى لخطاب الله سبحانه وتكليفه . وبه يبلغ الإنسان غاية ما في جوهر مثله أن يبلغه من خير الدنيا والآخرة من العلم والعمل ، وكفى بهذه الأشياء فضيلة لا يعجزها . فليكتف بهذه الجملة عن الإطالة .

---

(١) تأثر ابن الجوزي هنا بالحادث المحاسبي فهذه العبارات تصكاد تكون اقتباسا منه ( انظر آداب النفوس للمحاسبي ) .

## الباب الثاني

### في ذم الهوى

الهوى ميل الطبع لما يلائمه ، فلا يذم هذا المقدار إذا كان المطلوب مباحا ، وإنما يذم الإفراط فيه ، فمن أطلق ذم الهوى فلأن الغالب فيه ما لا يحل ، أو يتأول المباح بإفراطه .

وأعلم أن النفس منها جزء عقلي فضلية الحكمة ، ورذيلته الجهل ، وجزء شهوانى فضيلته العفة ، ورذيلته إطلاق الهوى .

فالصبر عن الرذائل فضيلة للنفس ، بها يحتتمل الإنسان الخير والشر ، فمن قل صبره فحكمه هواه على عقله فقد صير المتبوع تابعا ، والمأموم إماما ، فلا جرم أن جميع ما يرومه ينعكس عليه ، فإنه يتأذى من حيث قدر النفع ويحزن من حيث أراد الفرح .

وإنما فضل الأدمى على الحيوان البهيمى بالعقل الذى أمر بكف الهوى ، فإذا لم يقبل قوله ، وحكم الهوى كان الحيوان البهيمى أعذر من الأدمى .

ويدل على فضل خلاف الهوى تقديم كلب الصيد وإكرامه على أبناء جنسه ، وذلك لمكان مخالفته للهوى فى جنس<sup>(١)</sup> ما صاده على صاحبه دون أكله خوفا من عقوبته ، أو شكرا لنعيمته .

واعلم أن الهوى فى ضرب المثل كالماء الجارى الجديد الجرى<sup>(٢)</sup> ينحدر بسفينة الطبايع . والعقل مراد ، فإن عقل المراد وتوانى مر الماء بالسفينة .

(١) فى الأصل من جنس .

(٢) فى الأصل الجرية .

وينبغي للعاقل أن يعلم أن مقاساة الشدة في خلاف الهوى أسهل مما يلقى في موافقته ، وأقل ما يلقى موافقوا الهوى : أنهم يصيرون إلى حالة لا يلتذون به فيها ، ثم لا يصبرون عنه ، لأنه يصير بالإدمان عادة كمد منى الجماع ، وشراب الخمر ، والتفكر في هذه الأشياء يهون على الإنسان رفض الهوى .

ومما يهون الهوى : أن يتفكر الإنسان في نفسه ، فيعلم أنه لم يخلق لموافقة الهوى ، فإن الجمل يأكل أكثر منه والعصفور يسافد<sup>(١)</sup> أكثر ، والبهايم مطلقة في محباتها من غير حصر ولا يشوبها غم تقص خط الآدى من الشهوات ، ثم شبيت بالنقص علم أنه لم يخلق لذلك .

وقد بينت لك أن مذموم الهوى ما أفرط ، وهو الذى يحكم عليه العقل بالخطأ ، أما ما تهواه مما تضطر إلى تناوله ويعين به النفس على إصلاح حالها فمدوح لا مذموم .

## الباب الثالث

في الفرق بين ما يرى العقل وما يرى الهوى

أعلم أن الهوى يدعو إلى اللذة من غير فكر في عاقبتها ، وقد يعلم أن تلك اللذة تجلب ألما يربو عليها وتمتع صاحبها من نيل أمثالها : والهوى معرض عن النظر في ذلك . وتلك حالة البهايم ، إلا أن البهايم أعذر ، لأنها لا ترى العافية ولا ينبغي للعاقل أن ينزل عن رتبة بها شرف وأرتفع إلى مقام عظيم .

فأما العقل فإنه يراقب العواقب وينظر في المصالح فمثل كمثل الرجل الحارم والطبيب الناصح ، ومثل الهوى كمثل الصبي الجاهل ، والمريض الشره .

فينبغي للبيب إذا اختلف عقله وهواه وقد علم أن العقل عالم ناصح ، أن يستشيرَه وأن يسير على مضمض ما يأمر به ، ويكفيه في إثارة العقل علم يفضله ، فإن دام زيادة دليل على صحة قوله فليستأمل عواقب ما يحبيه الهوى على أربابه من هتك الأستار والفصيحة بين الخلق ، وحط المنزلة وفوت الفضائل وهل وكس ذوجاه ، أو ذل عزيز أو صيد طائر إلا بموافقة الهوى .

وبما يوضح له الدليل أن يقدر بلوغ غرضه قبل نيته ، ثم ينظر في حاله بعد انقضاء لذته ، وما اكتسبه ، وما يزين له الالتداد بالجناية ، فيعلم حينئذ أنه قد خسر أضعاف مارج وقد أنشدوا في ذلك :

كم لذة مستفزة فرحا      قد انجلت عن غموم آفات  
كم شهوات سلبين صاحبها      ثوب الديانات والمرومات

وأعلم أن الإنسان إذا وافق هواه — وإن لم يضره — وجد من نفسه ذلًا لمكان أنه مغلوب ، وإذا قهر هواه وجد في نفسه عزًا لأجل أنه غالب .  
ثم أنت ترى الناس إذا شاهدوا زاهدًا تعجبوا منه ، وقبلوا يده ، وما ذاك إلا لأنه قوى على ترك ما ضعفوا عنه من مخالفة الهوى .

## الباب الرابع

### في دفع العشق عن النفس

هذا مرض وقد تلف به خلق كثير ، تارة في أبدانهم ، وتارة في أديانهم وتارة فيهما ، ولأجله وضعت كتاب ذم الهوى .

وقد ذكرت هناك من الأدوية ما يكفي ويشفي إلا أني أذكر هنا جملة لثلا يخلو الكتاب مما قد رسم فيه فأقول :



من احتمى عن التخليط ، بغض البصر ، وكف النظر سلم من هذا المرض ، فإذا لم يَحْتَمِ حصل عنده المرض بمقدار تخليطه .

فإن تدارك الأمر قبل استحكامه فربما نفع الدواء ، وإن تركه إلى أن يستحکم لم ينفعه علاج .

وأعلم أن مجرد النظر إلى المستحسن لا يكاد يوجب العشق ، وإنما يزداد به تحصيله ، ويعينه قوة الطمع ، فيساعده الشباب والشهوة .

فمن أراد العلاج فليادر به قبل أن يستحکم المرض ، وذلك بقطع السبب والصبر في ذلك على المضض ، فإن اليأس أعظم دواء . وأقوى معين على ذلك خوف الله تعالى ، وزجر النفس الأبية عن مواقف الذل ، وتذكر عيوب المحبوب الباطنة . كما قال ابن مسعود . « إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مثالها » .

ومتى كان المحبوب مقدورا عليه مباحا كان الجمع بينهما أعظم الدواء ، وإلا فالنكاح في الجملة يخفف المرض ، واستجداد الزوجات ، واستحداث الجوارى ، وطول السفر ، والتفكر في خيانة المحبوب وتجنیه ، والنظر في كتب الزهد ، وذكر الموت ، وعيادة المرضى ، وزيارة القبور .

ثم يتفكر في وجود غرضه وانقضائه ، وسأتمه مع الزمان ، وتغير الخلق ، وليتصفح العبر في نفسه وغيره ، فلعل غيره يأخذ بيده فينتاشه (١) من هذه الهوة ، ويحتذ به من هذه الورطة . كما روينا أن رجلا كان يهوى غلاما فنظر يوما في المرأة فرآى طاقة شيب فهجر الغلام ، فكتب الغلام إليه .

مالي جفيت و كنت لأجني ودلائل الهجران لا تخفي  
وأراك تشريني فتمزجني ولقد عهدتك شاربى صرف

(١) أى ينقذه .

فكتب إليه في الجواب .

أصابني مع الشمط (١) سمعتي خطة الشطط  
لا تلني على جفا ي فحسي بما فرط  
أنا رهن بما جنيت فندرتي من الغلط  
قد رأينا أبا الخلا تق في زلة هبط

## الباب الخامس

في دفع الشره

أعلم أن الشره إذا أطلق انصرف إلى موافقة الهوى في المطاعم ، وكم قد أوجبت من أمر فزالت بأربابها إلى التلف ، وهي علة تتولد عن قوة النفس الشهوانية .

قال الحارث بن كلدة « الذي قتل البرية ، وأهلك السباع في البرية إدخال الطعام على الطعام . وقال غيره : « لو قيل لأهل القبور : ما كان سبب آجالكم ؟ لقالوا : التخم . وساق بسنده الحسن قال : قيل لسمرة : إن أبنك لم ينم الليلة . قال : أبشما ؟ قيل : بشما . قال : لومات لم أصل عليه (٢) .

البشمة في الطعام . والبغر في الماء . ( وهما الامتلاء الشديد ) .

قال رجل لرجل يعيره : مات ، أبوك بشما ، وماتت أمك بغرا .

وعن عقبة الراسبي قال : دخلت على الحسن فوافقته يتغذى . فقال : هلم

(١) يعني الشيب .

(٢) روى المناوي هذا القول للشبل في الكواكب الدرية .

فقلت : أكلت حتى لا أستطيع أن آكل . قال سبحانه الله ١١ وهل يأكل المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل (١) .

### فصل :

وأعلم أن العاقل يجب أن يأكل ليقى ، والجاهل يؤثر أن يبقى لياكل ، ورب لقمة منعت لقات ، وكانت سبب الهلاك ، وقد بينت عيوب الشبع في كتاب « لقط المنافع » ، وإنما المقصود هنا زجر النفس الشرهه ، لتكف الكف عما يؤذيها ، وفيها ابتدأت به من فضل العقل وذم الهوى ما يكفي في الامتناع عن كل رذيلة ، وهجر ما يخاف عواقبه .

### فصل :

وقد يكون الشره في الجماع ، وقد بينت في كتاب « اللقط » ، أنه كلما كثر استعماله امتنعت أوعية المني من اللز ، فأنجذب إليها غذاء ليس بنضيج ، واستلبت قوى الأصول ، وهي الدماغ والقلب ، والكبد ، فتبرد الحرارة الغريزية ، ويسرع لذلك الهلاك . ثم إن صورة الوطء تنبو عنها النفوس الشريفة ، إلا أن يدفع به شر محتقن ، أو يطلب ولد ، فأما أن يصير عادة ، ويكون بالتمتع بنفس الفعل ، فتلك مزاحمة البهائم .

### فصل :

وقد يقع الشره في جمع الأموال ، وهو من الجنون البارد إذا زاد على قدر الحاجة ، لأن المال لا يراد لنفسه ، وإنما يراد لغيره ، ولا ينكر على من جمع ما لا غنى للنفس عنه ، فاستغنى به عن الناس ، وأغنى أولاده ، وبذل بعضه

(١) ورد في الحديث : « المؤمن يأكل في ممي واحد ، والمنافق يأكل في

سبعة أمعاء .

للحجاجين ، إلا أنه ينبغي للعاقل بعد حصول المقدار والمتوسط من ذلك  
ألا يضيع الزمان الشريف ، وألا يخاطر بالروح <sup>(١)</sup> في الأسفار وركوب  
البحار ، وما أحسن قول الشاعر .

ومن ينفق الأيام في جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر .  
وكم قد رأينا وسمعنا عن أقوام يقترون على أنفسهم في الإنفاق ، ويركبون  
مع كبر السن البحار ، فيربحوا بزعمهم ، فهلكوا في أسفارهم ، وما بلغوا  
بعض أغراضهم .

وهذا المرض ينبغي أن يداوى بتلح المقصود من المال ، والموازنة بين  
المخاطرة بأنفس نفيس وهو النفس والوقت ، فمن شاور عقله فهم المراد ، ومن  
غلبه مرض الحرص هلك في بيداء الشره ، ولا وارث له إلا المطية والرحل .

### فصل :

وقد يقع الشره في فنون ما يلتذ به من الأبنية المنقوشة والخيل المسومة ،  
والملايس الفاخرة ، وغير ذلك ، وهذا مرض أصله موافقة الهوى .

وعلاجه أن يعلم أن الحساب على كسب الحلال شديد عسير ، والتبذير  
ممنوع منه ، وأن الله تعالى لا ينظر إلى من جر ثوبه خيلاء ، وأن كل شيء  
يؤجر المؤمن عليه إلا البناء .

فالعاقل من نظر في مقدار إقامته ، وتلح بيت نقلته ، فيئثذ يقنع من  
الثياب بما يواريه ، ومن الثياب بما يواريه ، وفي الحديث أن نوحا عليه  
السلام لبث في بيت شعر ألف سنة إلا خمسين عاما ، وأن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ما وضع لبنة على لبنة ، وكان في ثوب عمر اثنا عشرة رقعة .

(١) في الأصل : وأن يخاطر .

فهؤلاء فهموا أن الدنيا مفازة ، والمفازة لا تتوطن ، فمن فاته العلم بهذا مرض مرض الشره ، وعلاجه النظر في العلم ، والتأمل في سير العلماء والعقلاء .

## الباب السادس

### في رفض رئاسة الدنيا

أعلم أن النفس تحب الرفعة والعلو على جنسها ، فتؤثر الإمارة والولاية لمكان الأمر والنهي ، وهذا وإن كان مطلوباً إلا أن فيه مخاطرات ، أقلها العزل بعد الولاية ، وأعظمها الجور في الحكومة ، وأوسطها تضييع الزمان إذ لم تصح للوالى نية .

وينبغي لمن أحب الولاية أن يعلم أنه إنما يتخيلها <sup>(١)</sup> عظيمة مالم ينلها ، فإذا نالها هانت عنده ، وسما إلى غيرها ، فاللذة تزول ، والأوزار تبقى ، والمخاطرة بالنفس والدين . فالتفكر في هذه الأشياء علاج ، وروى عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل يل أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله عز وجل يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه ، فسكبه ، أو أوبقه إثمة ، أولها ملامة ، وأوسطها ندامة ، وآخرها خزي يوم القيامة . »

وعن أبي هريرة مرفوعاً : « ويل للأمرء ، ويل للعرفاء ، ويل للأمناء ليمتنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض ولم يكونوا عملوا على شيء . »

وفي أفراد مسلم من حديث أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ، ألا تستعملني .

(١) في الأصل . يتخيلها .

قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أباذر ، إنك ضعيف ، وإنها أمانة ،  
وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه  
لها . وفي لفظ آخر : « يا أباذر إني أحب لك ما أجد لنفسى ، لا تأمرن على  
اثنين ، ولا تولين على مال يتيم . »

## البَابُ السَّابِعُ

### فى دفع البخل

أعلم أن مجرد الإمساك للمال لا يسمى بخلا ، لأن الإنسان قد يمك فاضل  
المال لحاجته ، ولحوادث دهره ، ولأجل عياله ، وأقاربه (١) ، وهذا كله من  
باب الخزم فلا يذم ، وقد يجد قوم قوة فى النفس بحفظ المال ، وإنما يقع  
اسم البخل على مانع الحق الواجب .

قال ابن عمر : « من أدى الزكاة فليس ببخل ، ، ثم يقال لمن منع ما لا يضره ،  
ولا يكاد يؤثر فيه ، بما ينتفع به الناس ببخل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :  
« وأى دراهم أدوا من البخل ، . »

قال أبو محمد الزاهر مزي : إنما يشبه البخل بالدهام لأنه يفسد الخلق ،  
ويدفع السؤدد ، ويكسب سوء الثناء والمذمة ، كما أن الدهام يضعف الجسم  
ويبطل الشهوة ، ويغير اللون ، وقد قالت الحكماء : « الكريم حر لأنه يملك  
ماله ، والبخل لا يستحق اسم الحرية لأن ماله يملكه ، . »

وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم والشح  
فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة ففقطعوا ، وأمرهم بالبخل  
فبخلوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا . »

(١) فى الأصل : ولقرايته .

وقال عليه السلام: «دخصلتان لاتيجمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق» .  
قال الخطابي: الشح أبلغ من البخل ، فهو بمنزلة الجنس ، والبخل بمنزلة  
النوع . وقال بعضهم: البخل أن يرضن بماله ، والشح أن يبخل بماله ومعروفه  
وقال بشر الحافي: لقاء البخلاء كرب على قلب المؤمن .

وعلاج البخل أن يتفكر فيرى أن فقراء بني آدم إخوانه ، وقد أوشر  
عليهم ، وأحوجوا إليه ، فليجعل شكر المنعم مواساة الإخوان ، ولينظر  
في شرف الكرم ، وليعلم أنه يسترق الأحرار إذا أسدى إليهم معروفًا ،  
وينهب عرضه الأشرار إن بخل ، وليتيقن أنه سيترك ما في يديه ذميا ، فليخرج  
منه قبل أن يخرج عنه .

## الباب السامع

### في النهي عن التبذير

التبذير بما يأمر به الهوى ، وينهى عنه العقل ، وأحسن الأدب في هذا  
الباب تأديب الحق سبحانه وتعالى حين قال « ولا تبذر تبذيرا » .

وأعلم أن الإنسان قد يعطي رزق شهر في يوم ، فإذا بذر فيه بقى شهرا  
يعانى البلاء ، وإذا دبر منه عاش شهرا أطيب العيش .

وعلاج مرض التبذير النظر في العواقب ، والحذر بما يجوز كونه من  
الحاجة إلى الناس والفقير ، فذلك يكف يكف التبذير .

## البَابُ الثَّامِنُ

### في بيان مقدار الاكتساب والإنفاق

وينبغي للعاقل أن يكتسب أكثر مما يحتاج إليه، ويقتنى ما يعلم أنه لو حدثت به حادثة كان في المقتنى عوض عما ذهب، ولو عرض له مانع من الاكتساب قام المقتنى بحاجته بقية عمره، ولو جاءه أولاده، أو احتاج إلى فضل زوجة أو خادم، أو احتاج ولده إلى مثل ذلك كان في كسبه ما يكفيه.

وفي الجملة ينبغي أن تكون النفقة أقل من الكسب، ليقتنى من الفضل ما يكون معدا لحادثة لا تؤمن، وهذا ما يأمر به العقل الناظر في العواقب، ولا يبالى به الهوى الناظر إلى الحالة الحاضرة.

وعن أبي الورداء مرفوعا « من فقه الرجل بعد النظر في معيشتة ». وقد روى موقوفا.

## البَابُ العَاشِرُ

### في ذم الكذب

هذا من العوارض التي يدعو إليها الهوى، وذلك أن الإنسان لمحبة الرياسة يؤثر أن يكون مخيرا معلما لعله بفضل الخبر عن الخبر.

وعلاج هذا المرض أن يعلم عقوبة الله للكاذب، وأن يتيقن أنه مع استدامة الكذب لا بد أن يطلع على حاله فينقص نقصا لا يتلافى، فيذهب حياؤه وخجله واحتقار الناس له وتكذيبهم إياه في الصدق، وقلة ثقتهم به على ما اكتذبه.



وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« ما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ، .  
وقال ابن مسعود : « كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الحيانة والكذب ، .

## الباب الحادى عشر

### فى دفع الحسد

الحسد تمنى زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها ، وسبب ذلك  
حب الميزة على الجنس ، وكرهه المساواة ، فإذا حصلت للغير نعمة تميز بها  
تألم هذا الإنسان لتلك الميزة ، أو بمساواته له فيها ، فلا يزال ذلك الألم إلا  
زوال تلك النعمة عن المحسود ، وهذا أمر لا يكاد أحد ينفك منه فى باطنه ،  
ولا يأثم الإنسان بوجود ذلك ، بل يأثم بالتمنى لزوال النعمة عن أخيه المسلم .

وأعلم أن الحسد يوجب طول السهر وقلة الغذاء ، ورداءة اللون ، وفساد  
المزاج ، ودوام الكمد . قيل لأعرابى عاش مائة وعشرين سنة : ما أطول  
عمرك ؟ فقال : تركت الحسد فبقيت .

وأعلم أنه لا يقع الحسد إلا فى أمور الدنيا ، فإنك لا ترى أحدا يحسد  
قوام الليل ولا صوام النهار ، ولا العلماء على العلم ، بل على الصيت والذكر .

وعلاج هذا المرض : أن يعلم الإنسان أولاً أن الأقدار السابقة لا بد أن  
تجرى ، وأن الاحتيال فى صرف المقدور غير ممكن ، وأن القسام حكيم ،  
ثم هو مالك يعطى ويحرم ، فهو الذى خلق الطرف السابق ، والكودن (١)  
وكان الحاسد مضاد لإرادة المعطى سبحانه . وقال بعض الحكماء .

(١) هو البرذون الردى .

أقل لمن كان لي حاسدا أتدرى على من أسأت الأدب  
أسأت على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب  
فجازاك عنى بأن زادنى وسد عليك وجوه الطلب

ثم إن المحسود لم ينقص الحاسد من رزقه ، ولم يأخذ شيئا من يده ،  
فقصد الحاسد زوال ما أعطيه المحسود ظلم محض .

ثم ينبغي للحاسد أن ينظر في حال المحسود ، فإن كان إنما نال الدنيا فقط  
فهذا ينبغي أن يرحم ، لا أن يحسد ، لأن الذى ناله فى الغالب عليه لاله ،  
وهل فضول الدنيا إلا هموم . كما قال المتنبي .

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته مافاتة وفضول العيش أشغال

وبيان هذا : أن الكثير المال شديد الخوف عليه ، والكثير الجوارى  
شديد الخذر عليهن ، قوى الاهتمام بهن أو لهن ، والوالى خائف من العزل ،  
ثم ليعلم أن النعم كثيرة الأكدار ، ثم هى قلية اللبث ، والمصائب تردفها ،  
فإن صاحب النعمة ينتظر زوالها ، أو زواله عنها ، ثم ليوقن بأن ما يحسده  
عليه المحسود ليس هو عند المحسود كما هو عند الحاسد ، فإن الناس يظنون فى  
أرباب المناصب أنهم فى غاية اللذة ، ولا يدرون أن الإنسان يسمو إلى أمر ،  
فإذا ناله برد عنده وصار عادة له ، فهو يسمو إلى ما هو ، أعلى منه ، وهذا  
الحاسد يرى الأمر بعين الجد والغبطة . وليعلم الحاسد أنه لو عاقبه المحسود ناله  
بأشد من الأذى الذى هو فيه .

فإن لم ينتفع بشيء من هذا العلاج فليسع فى التسبب إلى مثل ما نال  
المحسود ، فقد قال بعض السلف : لقد خشيت أھم حق فى الحسد ، فإن  
الرجل إذا حسد جاره على الغنى سافر وتاجر ليصير مثله ، أو على العلم سهر  
وتعلم ، فقد صار الناس يحبون البطالة ، ثم يذمون الواصل إلى المعالى ،  
وما أحسن ما قال الرضى .

دني إلى بهم الكواند (١) أني  
الطرف المفهم والأغر الأقرح (٢)  
بولونتي خزر العيون لأنني  
غلست (٣) في طلب العلا وتصبحوا  
وجذبت بالطول (٤) الذي لم يجذبوا  
ومنحت بالغرب الذي لم يمتحوا (٥)  
لو لم تكن لي في العيون مهابة  
لم يطعن الأعداء في ويقدحوا

فإن لم ينل ما نال المحسود فلتكن مجاهدته إمساك لسانه عن ثلبه، وحبس  
ما في قلبه .

### فصل :

وقد جاءت الأحاديث بدم الحسد ، فعن الزبير بن العوام قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ،  
والبغضاء هي الحالقة ، حالقة الدين لخالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده  
لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا  
السلام بينكم ، » .

وقال عمر بن ميمون : رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا عن العرش ،

---

(١) أي المتخلفين .

(٢) أي السابق الظاهر ذو القرينة .

(٣) يعني بكرت .

(٤) يعني جذبت المعالي بحبل لم يستطيعوه .

(٥) يعني استقيمت باللو العظيم لم يستقوا به .

فغبطه بمكانه ، فسأل عنه ، فقال نجرك بعمله : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم  
آمن فضله ، ولا عيشى بالنيمة ، ولا يعق والديه .

وعن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد  
إلا في اثنتين . رجل آتاه الله عز وجل القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ،  
ورجل آتاه الله ما لا فهو ينفقة في الحق آناء الليل والنهار . أخرج في الصحيحين .  
فإن قيل : إذا ما كان الحسد مذموما فكيف مدحه هنا ؟ فالجواب : أن  
المراد بهذا الغبطة ، فسماها بالحسد تجاوزا . والغبطة أن يتمنى مثل ما للإنسان  
من غير حب زواله عنه .

## الباب الثاني عشر

### في دفع الحقد

الحقد بقاء أثر القبيح من المحقود في نفس الحاقده ، ولعمري إن العقل  
يقضى ببقاء أثر القبيح كما يقضى ببقاء أثر الجميل .

وعن عبد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث في  
حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر القصة ونزول  
عقوبته . قال : فدخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله  
الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول ، حتى صاحني وهنأني ، والله ما قام  
إلى رجل من المهاجرين غيره ، قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة (١) .

فإذا ثبت أن الجميل لا ينسى ، فالقبيح كذلك . إلا أنه يستحب الاجتهاد  
في إزالة أثر القبيح من القلب .

---

(١) كعب أحد الثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في  
غزوة تبوك ، وأنزل الله تعالى توبتهم .

وعلاج ذلك أن يكون بالعتو والصفح . وللعفو محلان : أحدهما رؤية الثواب للعافي ، والثاني شكر من جعل هذا في مرتبة من يعفو ، وذلك في منزلة من يهفو .

ومن كمال العفو حصول الرضا ، وذلك يمحو ما في القلب ، وهنا علاج أدق من هذا ، وهو أن يرى الإنسان أن الذي سلط عليه لأذاه إنما هو بذنب منه . أو التكفير خطأ ، أو لرفع درجة ، أو لاختباره في صبره ، وثم علاج أدق من هذا ، وهو : أن يرى الأشياء من المقدر .

## الباب الثالث عشر

### في دفع الغضب

لقد بينا أن الغضب إنما ركب في طبع الأدمى ليحثه على دفع الأذى عنه، والانتقام من المؤذي له ، وإنما المذموم إفراطه ، فإنه حينئذ يزيل التماسك ، ويخرج عن الاعتدال ، فيحمل على تجاوز الصواب ، وربما كانت مكاتته في الغضبان أكثر من المغضوب عليه .

والغضب حرارة تنتشر عند وجود ما يغضب ، فيغلي عندها دم اللذات طلب للانتقام ، وربما أثر الحمى وسببه في الغالب الكبر ، فإن الإنسان لا يغضب إلا على من هو أعلى منه .

وعلاجه أولاً أن يتثبت الغضبان ويغير حاله ، فإن كان ناطقاً سكت ، وإن كان قائماً قعد ، وإن كان قاعداً اضطجع ليسكن تلك الفورة ، وإن خرج في الحال عن المسكان وبعد عن المغضوب عليه كان أصلح .

ثم يتفكر في فضل كظم الغيظ ، فقد مدح الله سبحانه القوم فقال :  
«وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، فَإِن رَأَى مَاسِطَةً عَلَيْهِ بَذْنٌ أَوْ شَهِدَ قَدْرَ الْمَسْلُوطِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي الْحَقِّ هَانَ الْاَمْرُ .»

### فصل :

وقد جاء في هذا أحاديث كثيرة ، فذكر بسنده إلى أبي هريرة قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : أوصني ، فقال : لا تغضب ، فردد مرارا فقال : لا تغضب . رواه البخاري .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ، ومن حديث سلمان بن صرد قال : كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان ، وأحدهما قد أحمر وجهه ، وانتفخت أوداجه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دأني لأعلم كلبه لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، لذهب عنه ما يجده ، قالوا له : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تعوذ بالله من الشيطان الرجيم . قال : أوبى جنون ؟

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع . قال الخطابي : القائم متهيم للحركة والبطش ، والقاعد دونه ، في هذا المعنى .

وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا غضب أحدكم فليسكت ، وقال الأحنف : ما اعترض الثبوت في الغضب إلا وهى .

### فصل :

ومتى لم يسكن الغضبان عند شدة فورته لم يؤمن أن تبدر منه نكابة يندم عليها . إما في نفسه أو في المغضوب عليه فكم من غضب فقتل وجرح ، أو كسر عضو ولده ، ثم بق الدهر نادما على ما فعل ، ومنهم من ينكأ في نفسه . فإن رجلا غضب مرة فصاح ، فنفت الدم في الحال ، وأدى به الأمر إلى

الهلاك فمات ، ولكم رجل رجلا فانكسرت أصابع اللام ، ولم يستضر  
الملكوم .

ومن العلاج : أن يتصور الغضبان حاله عند الغضب ، ثم يتصور ماله عند  
السكون ، فحينئذ يعلم أن حالة الغضب حالة جنون ، وخروج عن مقتضى  
العقل ، ومتى لم يثبت عزم الغضبان عن ضرب المغضوب عليه فاستقر وغير  
ذلك ، ووعد نفسه بالفعل بشرط التثبت ، فإذا حصل التثبت رأى قبح  
ما عزم عليه فترك .

### فصل :

وقد كان السلف إذا غضبوا غفروا وصفحوا طلبا لفضيلة العفو ، وكظم  
الغيظ ، ومنهم من يرى السبب في إغضابه ذنوب نفسه ، ومنهم من يرى أنه  
مختبر ، إلى غير ذلك مما ذكرناه في باب الحق .

وفي بعض كتب الله تعالى : « يا ابن آدم أذكرني إذا غضبت ، أذكرك  
إذا عصيت ، فلا أحققك مع من أحق ، وإذا ظلمت فارض بنصرتي ، فإن نصرتني  
خير لك من نصرتك لنفسك . »

وقال مروق : « وما تكلمت كلمة في الغضب إلا ندمت عليها في الرضا ، ،  
وكان ابن عون لا يغضب ، فإذا أغضبه الرجل قال : بارك الله فيك . »

### فصل :

ولا ينبغي للغضبان على الشخص أن يعاقبه في حال غضبه ، وإن كان  
مستحقا للعقوبة ، بل يمهل حتى يسكن الغضب ، لتكون العقوبة بمقدار الإساءة  
لا بمقدار الغضب .

أبى عمر بن عبد العزيز برجل كان واجدا عليه ، فقال : لو لا أني غضبان  
لضربتك . ثم خلى سبيله .

## الباب الرابع عشر

### في دفع الكبر

الكبر تعظيم شأن النفس ، واحتقار الغير ، وذلك يكون بسبب الترفع على من هو دونه ، إما في النسب ، أو المال أو العلم أو العبادة ، أو غير ذلك .  
وعلاوة الكبر : الأئفة بمن يتكبر عليه ، والاختيال والفخر ، ومحبة التعظيم من الناس له .

وعلاج ذلك نوعان : جملي ، وتفصيلي ، أما الجملي فنوعان : علمي وعملي ، فالعلمي في الأدلة السمعية والفعلية على رذائل الكبر ، وأما العملي فصحبة المتواضعين وسماع أخبارهم . وأما التفصيلي فأن ينظر إلى رذائل النفس ، ويعلم أن ما يتكبر به إن كان ما لا فهو مأخوذ منه عن قريب ، والفضل إنما يكون في الغنى عن الشيء لابه ، لأن الغنى بالشيء فقير إليه ، وإن كان علما فقد سبقه به خلق كثير أعلم منه ، ثم علمه ينهيه عن حالته ، فهو حجة عليه ، وكذلك إن كان عملا ، ثم رؤيته للعمل بعين التمام نقيض .

### فصل :

عن أبي سلمة قال : التقى عبد الله بن عمرو وابن عمر على المروة فنزلا فتحدثا ، ثم مضى عبد الله بن عمرو ، وقعد ابن عمر يبكي ، فقيل له : ما يبكيك؟ فقال : هذا - يعني عبد الله بن عمرو - زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله تعالى في النار على وجهه » .

وعن إياس بن مسلمة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال الرجل يعجب بنفسه حتى يكتب من الجبارين حتى يصيبه ما أصابهم » .



وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، فقال الرجل : إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : « إن جميل يجب الجمال . الكبر بطن الحق وغط الناس » .

وفي أفراد من حديث الأغر ، عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : « العز إزادى والكبر رداى فمن نازعنى فيهما عذبتة » . قال الخطابي : ومعنى هذا الكلام أن الكبر ياء والعظمة صفتان اختص بهما لا يشركه فيهما أحد ، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما ، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل وضرب الرداء والإزار مثلا . يقول والله أعلم : كما لا يشرك الإنسان في رداته وإزاره أحدا فكذلك لا يشركه في الكبرياء والعظمة مخلوق .

قال : وقوله : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر يتأول على وجهين : أحدهما أنه كبر الكفر . والثاني أنه ينزع الكبر من قلب أهله قبل دخولهم الجنة .

وقوله : وغط الناس أنه أزرى بهم ، واستخف بهم . ويقال : غمط وغمص .

وعن الحسن قال : تراهم يهدرون عندهم العمل أنت والله أنت والله ، وتراه مقنعا ساكتا يحسب حميق أنه مثل ما يقال له . قال : وترى أحدهم يتخذل في مشيته يسحب عظامه عظما عظما لا يمشی صلبا .

## الباب الخامس عشر

### في دفع العجب

العجب إنما ينشأ من حب النفس، والمحجوب لا يرى زلته، ولا يعتقد نقصه، بل يرى يعين الكمال. ومن بلايا العجب أنه يؤدي إلى بغض الذي به وقع العجب، لأن المعجب بنفسه في أمر الدنيا لا يتزيد منه، ثم يترقى أن يعيب غيره في الاعتقاد. والنقص في سواه.

وعلاج العجب البحث عن عيوب النفس على ما بينا آنفاً، وسؤال الغير عن قيامها ومعاييرها، والنظر في أحوال من سبقه إلى ما أعجب به وبرز عليه.

فإن أعجب العالم بعلمه فلينظر في سير العلماء أو بزهده فلينظر في سير الزهاد. فحينئذ لا يعجب بنفسه، فقد كان الإمام أحمد يحفظ ألف ألف حديث، وكان كهمس بن الحسن يختم كل يوم وليلة ثلاث مرات، وصلى سليمان التيمي الفجر يوضوء العشاء أربعين سنة، ومن تأمل سير القوم رأى نفسه بالإضافة إليهم كمن معه دينار يعجب به، ولا يدري أن في الناس من يملك ألوفاً كثيرة.

وقال إبراهيم الخواص: العجب يمنع من معرفة قدر النفس. وقال بعض الحكماء: عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله، وما أضر العجب بالمجلس.

## الباب السادس عشر

### في دفع الرياء

من عرف الله تعالى حق معرفته أخلص له عمله، وإنما يقع الرياء من قلة المعرفة له، وتعظيم قدر الخلق، وإيثار النفس مدحهم وحمدهم.

والناس في هذا المرض متفاوتون. فمنهم من لا يقصد بعمله إلا مدح

الخلق له ، ومنهم من يريد الله بعمله ، ويريد مدح المخلوقين ، ومنهم من لا يقصد الخلق أصلا . فإذا اطلعوا على حسن العمل وجودته لمدح . فهذه آفة دخلت دخلت على عمل صحيح

وعلاج هذا المرض في الجملة : تحقيق معرفة الله سبحانه ، فن عرفه أفرد القصد له ، ولم ير غيره ، وأقام نفسه في مقام العابد الذليل للمعبود ، لاني مقام معبود بمدوح ، ورآى أن حصول الأجر إنما يكون بخالص العمل ، فاحترس من تعب ضائع .

والعقوبة على الرياء شديدة . فمن حديث عمر : إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرئ ما نوى . وعن أبي موسى قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت أن الرجل يقاتل شجاعة ويقاقل حمية ، ويقاقل رياء ، فأى ذلك في سبيل الله ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ، متفق عليه .

وعن أبي هريرة ، قال له قائل أيها الشيخ حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول الناس يقضى فيه الله تعالى يوم القيامة ثلاثة . رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال : ما عملت فيها . قال : قاتلت فيك حتى قتلت : قال : كذبت ، ولكنك قاتلت ليقال : هو جرى . فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أتى في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . فقال : ما عملت فيها . قال : تعلمت فيك العلم وعلمته ، وقرأت القرآن ، فقال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال هو عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أتى في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المسال كله ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال : ما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو

جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . انفراد  
ياخراجه مسلم .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل .  
قال : « أنا خير الشركاء فمن عمل عملا فأشرك فيه غيري ، فأنا بريء منه ،  
وهو للذي أشرك ، أخرجه مسلم .

وعن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أخوف  
ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ،  
قال : الرياء . يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم : اذهبوا  
إلى الذين كنتم ترأؤونهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء .

وعن أبي حازم قال : لا يحسن عبد فيما بينه وبين العباد ، ولا يعور فيما  
بينه وبين الله إلا عور الله ما بينه وبين العباد ، ولمصانعة وجه واحد أيسر  
من مصانعة الوجوه كلها ، إنك إن صانعت هذا الوجه مالت إليك  
الوجوه كلها .

وعن ابن توبة قال : رأيت أبا بكر الأدمي القاريء في النوم بعد موته ،  
يمد يده فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني بين يديه ، وقاسيت شدائد  
وأمورا صعبة ، قلت له : فتلك الليالي والمواقف والقرآن . قال : ما كان شيء  
أضر على منها ، لأنها كانت للدنيا . فقلت : فإلى أي شيء انتهى أمرك ؟ قال :  
قال لي تعالى : آليت على نفسي ألا أعدب أبناء الثمانين .

## الباب السابع عشر

### في دفع فضول الفكر

أعلم أن الفكر يراد لاستدراك فارط ، والنظر في مصلحة مستقبلية، فإذا كان فيها لا يثمرها كان ضررا ، وإذا كثرت أنك البدن .

قال بقراط : ينبغي للعلماء أن يتركوا الفكر وقتا مائلا ينهك أبدانهم . قلت : ولا يجوز للعاقل أن يخلى نفسه من الفكر ، ولكن يكون فيما يتصور له نيله ، فأما إذا تفكر العاقل في أن يكون خليفة ، وأن ينال علم أبي حنيفة والشافعي ، ثم يجمع بينه وبين زهد بشر ومعروف الكرخي ، ويحصل مثل مال عبد الرحمن بن عوف ، فهذه أفكار تضي وتردى ، خصوصا إذا قنع بالفكر واستعمل الكسل عن الطلب .

وإنما ينبغي أن يتفكر فيما تصل إليه قدمه ، ويطمع مثله فيه من الخير ، ويتفكر في جهاده للطبع في دفع الشر ، فقد تفكر خلق كثير من العصاة في عواقبهم فتابوا وكثير من الملوك في عزور الدنيا ، فتزهدوا .

قال ابن عباس : ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة . والقلب ساه .

وعن أم الدرداء قيل لها : ما كان أفضل عمل أبي الدرداء ؟ قالت : التفكر والاعتبار .

ووقف مالك بن دينار ليلة في داره على قدمه إلى الفجر فقال : مازال أهل النار يعرضون علي بسلاسلهم وأغلاهم إلى الصباح . وقال بعض الحكماء : بترداد الفكر ينجاب العمى .

## الباب الثامن عشر

### في دفع فضول الحزن

أعلم أن العاقل لا يخلو من الحزن ، لأنه يتفكر في سالف ذنوبه فيحزن على تقريظه ، وفيما قال العلماء والصالحون فيحزن لفوته .

قال مالك بن دينار : إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب ، كما أن اليب إذا لم يسكن خرب .

وقال إبراهيم بن عيسى : ما رأيت أطول حزنا من الحسن ، وما رأته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة .

وقال مالك بن دينار : بقدر ماتحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك .

وإذ قد تبين أن الحزن لا يزال ملازما لقلوب المتقين فينبغي أن يتقى إفراطه ، لأن الحزن إنما يكون على الفئات ، وقد عرفنا طريق الاستدراك وجاء في الحديث : بقية عمر المؤمن لا قيمة له إن لم يستدرك فيه ماقات . فإن كان المحزون عليه لا يمكن استدراكه لم ينفع الحزن ، وإن كان دينا فينبغي أن يقاومه بجم الفضل والرحمة لتعديل الحال .

فأما إذا كان الحزن لأجل الدنيا وماقات منها فذلك الحزن المبين ، فليدفعه العاقل عن نفسه .

وأقوى علاجه أن يذكر أنه لا يرد فائتا ، وإنما يضم إلى المصيبة مصيبة فتصير اثنتين ، والمصيبة يبغي أن تخفف عن القلب وتدفع ، فإذا استعمل الحزن والجزع زادت ثقلا .

قال ابن عمر : إذا استأثر الله بشيء فاله عنه ، ثم في الخلف عن الفئات

مايسلي ، فإن عدم مايسلي اجتهد في صرف ذلك عن قلبه .

وليعلم أن الداعي إلى الحزن الهوى لا العقل ، لأن العقل لا يدعو إلى  
مالا ينفع ، وليعلم أنه سيسلو بعد حين ، فيجتهد في تقديم المؤخر ، وليرتح  
ما بين الزمانين . وما يحق الحزن العلم بأنه لا يفيد ، والإيمان بالثواب ،  
ويذكر من أصابه أكثر من مصيئته .

## الباب التاسع عشر

في دفع فضول الهم والغم

الغم يكون للماضى ، والهم للمستقبل ، فمن اغتم لما مضى من ذنوبه نفعه  
غمه على تفریطه ، لأنه ثياب عليه ، ومن اهتم بعمل خير نفعته همته ، فأما  
إذا اغتم لمفقود من الدنيا ، فالمفقود لا يرجع والغم يؤذى . فكأنه أضاف  
إلى الأذى أذى كما قلنا ، في الحزن .

وينبغي للحازم أن يحتزم ، ما يجلب الغم ، وجالبه فقد المحبوب ، فمن كثرت  
محبوباته كثرت غمه ، ومن قللها قل غمه .

فإن قال قائل : إذا لم أجد محبوبا اغتممت . قيل له : صدقت . ولكن  
لا يبلغ غمك بالعدم معشار عشر غم فقد المحبوب ، ألا ترى أن من لا ولده  
يعتم ، ولكن لا كغم من أصيب بولده ؟

ثم الإنسان كلما طال إلفه لما يحبه واستمتاعه به تمكن من قلبه ، فإذا  
فقدته أحس من مر التألم في لحظة لفقدته بما يزيد على لذات دهره المتقدم .  
وهذا لأن المحبوب ملائم للنفس كالصحة ، فلا تجد النفس لذتها إلا عند  
وجودها ، وفقدتها منافي لها ، ولذلك تألم بالفقد ما لا تفرح بالوجود ، لأنها  
ترى وجود المحبوب كالحق الواجب لها .

فينبغى للعاقل تقليل الألفة ، فإن اضطر إلى جواب الغم فأثمرت الغم  
فعلاجه في الأول الإيمان بالقدر ، وأنه لا بد مما قضى ، ثم يعلم أن الدنيا  
موضوعة على الكدر ، فالبناء إلى النقص ، والجمع إلى التفريق ، ومن رام  
بقاء ما لا ينبغى كان كمن رام وجود ما لا يوجد فلا ينبغى أن يطلب من  
الدنيا ما لم توضع عليه كما قال الشاعر .

طبعتم على كدر وأنت تريدها صفوا من الإيذاء والأكدار

ثم يتصور ما نزل به مضاعفا ، فيهون عليه حينئذ ما هو فيه ، ومن عادة  
الجمال الحازم أن يترك فوق حمله شيئا ثقيلا ، ثم يمشى خطوات ، ثم يولى به  
فيخف الأمر عنه . ثم ليرتقب زمن العافية هجوم البلاء وليتخيل كما يتصور  
نزوله نازلا .

فإذا نزل بعض ذلك كان ربما مثل أن يتصور أن يؤخذ ما ناله كله ، فإذا  
أخذ البعض عد الباقي غنيمة ، ويتصور أن يعمى ، فإذا رمد سهل الأمر ،  
وكذلك جميع المضرات قال الشاعر .

يمثل ذو اللب في نفسه مصائبه قبل أن تنزلا  
فإن نزلت بغيته لم ترعه لما كان في نفسه مثلا  
وذو الجهل يأمن أيامه وينسى مصارع من قد خلا  
فإن بدته صروف الزمان ببعض مصائبه أعولا  
ولو قدم الحزم في أمره لعله الصبر حسن البلاء

قال بعض السلف : رأيت امرأة فتعجبت من نضارتها ، فقلت : هذا  
وجه ما طرقة حزن . قالت : لا تنقل هذا . فما أعرف من ناله ما نالني ، كان  
لي زوج فاشتري أصحية فذبجها وله ولدان فقال الأكبر للأصغر تعال حتى  
أريك ذبح الشاة ، فذبجه ، فلما طلبناه هرب ، فخرج الأب في طلبه فهلك ،  
فقلت : وكيف حزنك ؟ قالت : لو وجدت في الحزن ذرعا لاستعملته .



## فصل :

وقديقع الحزن والغم من غلبة السوداء، فيعالج بمايزيل السوداء بالمفرحات.  
والغم يجمد الدم ، والسرور يلهب الدم حتى تعلق حرارته الغريزية ، وهما  
جميعا يضران ، وربما قتلا إن لم يعجل تفتيرهما .

## الباب العشرون

### في دفع فضول الخوف

الخوف والحذر إنما هما للمستقبل ، والحازم من أعد للخوف عدته قبل  
وقوعه ، ونفي فضول الخوف مما لا بد منه ، إذ لا ينفعه خوفه منه ، وقد  
اشتد الخوف من الله تعالى بكثير من الصالحين حتى سألوا الله تعالى  
تقليل ذلك .

والسبب في سؤالهم أن الخوف كالسوط فإذا ألح بالسوط على الناقة  
قلقت ، وإنما ندبه المتواني .

قال سفيان الثوري لشاب يجالسه : أتحب أن تخشى الله حق خشيته ؟  
قال : نعم . قال : أنت أحق لو خشيته حق خشيته ما أديت الفرائض .

## فصل :

ولا ينبغي للعاقل أن يشتد خوفه من نزول المرض فإنه نازل لا بد .  
وخوف ما لا بد أن يأتي زيادة أذى ، فأما الخوف من الموت والفكر فيه فإنه  
لاسييل إلى دفعه عن النفس ، وإنما يخفف الأمر العلم بأنه لا بد منه فلا يفيد  
الحذر إلا زيادة على المحذور .

وكلما تصورت شدته كانت كل تصوية موتا ، فليصرف الإنسان فكره

عن تصور الموت ليكون ميتا مرة واحدة لامرات . ويكون صرف  
الفكر رجما .

وليعلم أن الله تعالى قادر على تهوينه إذا شاء ، وليوقن بأن ما بعده أخوف  
منه ، لأن الموت قنطرة إلى منزل إقامة، وإنما ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر  
الموت ليعمل له لالنفس تصويره وتمثيله ، فإن خطر على القلب الحزن على  
فراق الدنيا فعلاج ذلك أن يعلم أنها ليست بدار لذة ، وإنما لذتها راحة من  
مؤلم ، ومثل هذا لا ينافس فيه .

فإن حزن العاقل على فراق الدنيا لفوت العمل الصالح، فقد كان السلف  
يجزون لذلك .

قال معاذ بن جبل عند موته : اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا  
وطول البقاء فيها لكرى الأنهار وغرس الأشجار ولكن لظماً لهواجر ،  
ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر .

### فصل :

ومن نزل به الموت فليعلم أنها ساعة تحتاج إلى معاناة صعبة ، لأن صورتها  
ألم محض ، وفراق المحبوبات ، ثم ينضم إلى ذلك هول السكرات ، والخوف  
من المسأل ، ويأتى الشيطان فيسخط العبد على ربه ويقول : أنظر في أى شيء  
ألقاك ، وما الذى قضى عليك به ، وكيف يؤلمك ، وها أنت تفارق ولدك  
وأهلك وتلقى بيد أطباق القرى .

فربما أسخطه على ربه وكره قضاء الله تعالى ، وأنطقه بكلام يتضمن نوع  
اعتراض ، وربما حسن إليه الجور فى الوصية ، وأن يزوى لبعض الورثة  
إلى غير ذلك من المحن .

فليتعين حينئذ الحاجة إلى معالجة إبليس ومعالجة النفس ، وقد نقل أبو داود

من حديث أبي اليسر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « أعود بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت » .

وفي تلك الساعة يقول الشيطان لأعوانه : إن فاتكم فلان الآن لم تقدروا عليه أبدا . وأما العلاج لتلك الشدائد فينبغي أن نذكر قبله مقدمة ، وهو أن من حفظ الله في صحته حفظه الله في مرضه ومن راقب الله في خطراته حرسه الله عند حركات جوارحه .

وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أحفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .

ثم قد سمعت قصة يونس عليه السلام ، كانت له أعمال خير متقدمة انتاشت من شدته فقال تعالى : « فلو لا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون » . ولم يكن لفرعون عمل خير ، ولم يجد وقت الشدة متعلقا فقيلا له : « آلا آن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » .

وكان عبد الصمد الزاهد يقول عند الموت : سيدي لهذه الساعة خباتك .

فأما من ضيع في صحته فإنه يضيع في مرضه ، كما نقل عن الصحابة أنه رأى شيخا يطلب من الناس فقال : هذا ضيع أمر الله في صغره فضيعه الله في كبره .

فأما نفس العلاج فينبغي أن تشجع النفس وتقول لها : إنما هي ساعة ثم أرجو كمال الراحة ، كمال قال عليه السلام لفاطمة رضى الله عنها : لا كرب على أهلك بعد اليوم ، ودعى أبو بكر بن عباس عند الموت إلى الرجاء فقال : كيف لأرجوه وقد صمت له ثمانين رمضان .

وقال المعتمر بن سليمان : قال لي أبي : يا بني اقرأ على أحاديث الرخص لعل ألقى الله . وأنا حسن الظن به . فينبغي للمؤمن أن يرمى صوت الخوف ، ويحدو الناقة كما قال حادى البادية :

بشرها دليلها وقالوا غدا ترين الطلح والجبالا

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ، متفق عليه .

وعن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ، أخرجه مسلم .

وقال الفضيل بن عياض : « الخوف أفضل من الرجاء . فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل ، .

قلت : وهذا صحيح لما بينا من أن الخوف سوط يساق به المتواني ، فإذا كل البعير لم يبق إلا الرفق .

فان قيل : فما تقول في خوف عمر عند الموت ؟ فالجواب : أنه لما تعلقته به حقوق الرعية خاف من مُطالب طبعه مبنى على الشح . كان يقول : إنما أخاف . ولا يتكلم . هذه على أنه كان يتمسك بأذيال الرجاء ، قال ابن عباس لما قال له : أبشر يا أمير المؤمنين ، وليت فعدلت . قال : أتشهد لي بها عند الله يا ابن عباس ؟

### فصل :

فإن اشتد المرض وكرب ، فليحسب ذلك في باب الأجر ، فقد كانوا يستحبون أن يجهدوا عند الموت .

وعن عمر بن عبد العزيز قال : ما أحب أن تهون على سكرات الموت ، إنه آخر ما يكفر به عن المرء المسلم .

### فصل :

وينبغي للمريض ما دام ثابت العقل أن يتوب ليلقى الله طاهرا من كل

ذنب ، وأن يجرد وصيته ، وأن يسلم أهله وولده إلى الله تعالى ، فإنه يتولى الصالحين .

### فصل :

فإن أزعجه الشيطان بذكر البلي ، فليعلم أن البلي واقع على المركب ، والراكب قد رحل ، وليعلم أن الشريفة قد مضت بوصول المؤمن بعد الموت إلى النعيم الهائم ، فمن حقق الإيمان لم يحزن ، لأن مآل المؤمن إلى الخير ، ومن لم يتحقق الإيمان فليحزن لفقد التحقق .

وعن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نسمة المسلم طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده » . ومقصودنا من هذا الباب أن يكون الخوف من الموت بمقدار لئلا ينهك البدن ، ويبالغ في الأذى ، وأن يخاف ما بعد الموت فيعمل له .

## الباب الحادى والعشرون

### فى دفع فضول الفرخ

إذا اشتد الفرخ التهاب الدم ، وذلك يضر ، وربما قتل إن لم يعدل . وينبغى للإنسان إذا رأى أسباب الفرخ أن يدرج نفسه إليه . فإن يوسف عليه السلام لما التقى بأخيه سأله : هل لك من أب ، ولم يزل يلاطفه لئلا يفجأه بالسبب المفرح .

والفرخ ينبغى أن يكون بمقدار ليعدل الحزن . فإذا ما أفرط فإنه دليل على الغفلة القوية ، إذ لا وجه للفرخ عند العاقل ، فإنما يفرح بالطبع لما يفرح ، ثم يذكر مصيره وخوف مآله ، فينمحي ذلك الفرخ ، ومتى قويت غفلة الفرخ

حملت إلى الأشر والبطر ، ومن هذا قوله تعالى : « إن الله لا يحب الفرحين ،  
يعنى الأشرين الذين خرجوا بالفرح إلى البطر .

وعلاج شدة الفرح بالفكر فيما سلف من الذنوب ، وفيما بين يدي العبد  
من الشدند ، وقد قال الحسن البصرى لولا فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى  
لب فرحا .

## الباب الثانى والعشرون

### فى دفع الكسل

الموجب للكسل حب الراحة ، وإيثار البطالة ، وصعوبة المشاق ، وفى  
الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكثُر  
أن يقول : « اللهم إني أعوذ بك من ألهم والحزن والعجز والكسل ، وفى  
أفراد مسلم من أفراد أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمن  
القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، إحرص  
على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، فإن أصابك شئ فلا تقل : لو أنى فعلت  
كذا كان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان ، .

وقال ابن مسعود : « إني لأبغض الرجل أراه فارغا ليس فى شئ من عمل  
الدنيا ولا عمل الآخرة ، وقال : يكون فى آخر الزمان أقوام أفضل أعمالهم  
التلاوم بينهم . » وقال ابن عباس : « تزوج التواني بالكسل فولد بينها الفقر ،  
وقال مالك بن دينار : « مامن أعمال البرشى إلا ودونه عطية ، فإن صبر صاحبها  
أفضت إلى روح ، وإن جزع رجع ، وقال سفيان الثورى : « مضى القوم  
على الخيل العتاق ، وبقينا على حُمُر دبرة . »

## فصل :

وعلاج الكسل تحريك الهممة بخوف فوات القصد ، وبالوقوع في عقاب اللوم ، أو بالحصول في يدياء التأسف ، فإن أسف المفرط إذا عين أجر المجتهد أعظم من كل عقاب .

وليفكر العاقل في سوء مغبة الكسل ، فرب راحة أوجبت حسرات وندما ، ومن رأى جاره قد سافر ثم عاد بالأرباح زادت حسرة أسفه على لذة كسله أضعافا ، وكذلك إذا برع أحد الرفيقين في العلم وتكاسل الآخر .

والمقصود أن ألم الفوات يربو على لذة الكسل ، وقد أجمع الحكماء على أن الحكمة لا تدرك بالراحة ، فمن تلبح ثمرة الكسل اجتنبهه ، ومن مدفطنته إلى ثمرات الجد نسي مشاق الطريق ، ثم اللبيب يعلم أنه لم يخلق عبثا ، وإنما هو في الدنيا كالأجير أو كالتاجر .

ثم إن زمان العمل بالإضافة إلى مدة البقاء في القبر كلكظة ، ثم إضافة ذلك إلى البقاء السرمدى إما في الجنة وإما في النار ليس بشيء .

ومن أنفع العلاج النظر في سير المجتهدين ، فالعجب من مؤثر البطالة في موسم الأرباح ، وتارك الإستلاب وقت النثار .

وعن فرقد قال : « إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل ، ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه ، فاذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نقيين ، وأتم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل .

## الباب الثالث والعشرون

في تعريف الرجل عيوب نفسه

أعلم أن النفس محبوبة ، وعيوب المحبوب لا تخفى على المحب ، وفي الناس من يقوى نظره وجهاده للنفس فيزولها منزلة العدو في المخالفة ، فتظهر له عيوبها . قال إرياس بن معاوية : « من لم يعرف عيب نفسه فهو أحمق » . فقليل له : فاعيبك ؟ قال : « كثرة الكلام » ، وهذا أمر نادر . والعمل على الغالب فإن الغالب أن يخفى على الإنسان عيوب نفسه .

ولسنا نريد ألا يعرف عيبا ظاهرا ، فإن العاقل إذا أتى عيبا عرفه وإنما غرضنا العيوب الباطنة ، فإنها كالأمراض الباطنة التي لا يعلم بها الطبيب فيصف لها دواء ولا عليها أمارة ، ومحبة الإنسان لنفسه تمنعه أن يرى العيب الخفي عيبا كما قال الشاعر .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة . ولكن عين السخط تبدى المساويا  
وقد روى أن رجلا صحب رجلا فلما أراد أن يفارقه قال له : أخبرني  
عن عيوبى فقال : سل غيرى فإنى كنت أراك بعين الرضا .

فإن قيل : فإذا كانت العيوب باطنة والإنسان لا يراها عيوباً فكيف  
الطريق إلى تعرفها ؟ فالجواب : أن لذلك سبع طرائق .

الطريق الأول : أن يتخير صديقا من أعقل مخالطيه ، ويسأله عن إبانته  
ما يرى من قبيحه ، ويعرفه أن ذلك منة منه عليه ، فإذا أخبره ابتهج بما سمع  
منه ، ولم يظهر له الحزن على ذلك ، لئلا يقصر في شرح الأمور ويقول له :  
متى كتمتني شيئا عددتك غاشا .



والطريق الثاني : أن يبحث عما يقوله فيه جيرانه وإخوانه ومعاملوه ،  
وبماذا يمدحونه أو يذمونه .

والطريق الثالث : أن يتطلع إلى ما يقوله فيه الأعداء ، فإن العدو يبحث  
عن العيوب ، ومن هذا الوجه ينتفع الإنسان بعدوه ما لا ينتفع بصديقه .  
لأن العدو يذكر النقص ، والصديق يستر الخلل ، فإذا عرف الإنسان من  
طريق عدوه نقصا اجنيبه .

الطريق الرابع : أن يصور أفعاله في غيره . ثم يستعمل منها ما يستحسن ،  
ويترك ما يستقبح .

والطريق الخامس : أن يعمل فكره في عواقب خلاله وثمراتها ، فيرى  
عيب العيب ، وحسن الحسن فإن الفكر الصادق نافذ .

والطريق السادس : أن يعرض أعماله على محك الشرع ، ويربها نافذ  
العقل ، ويضعها في موازين العدل ، فإنه يرى الأرجح والأدون .

والسابع : أن ينظر في سير العاملين ، ثم يقيس أفعاله بأفعالهم ، فيرى  
حينئذ أن آثار النقص عيب فيجتنبه فضلا عن فعل القبيح .

## الباب الرابع والعشرون

### في تنبيه الهمة الدنية

إذا كانت الهمة الدنية طبعاً لم ينجح فيها العلاج، فإن كانت مكتسبة بصحبة  
الأدنياء ، أو لغلبة الطبع والهوى فعلاجها قريب ، وذلك من وجوه . منها  
مقاطعة أهل الدناءة أنفة منهم ، ومواصلة أرباب الهمم العالية ، ثم التفكير  
في العواقب ومآل الدناءة ومصير أولى الجد والاجتهاد ، كما قال عبد الصمد :

( ٩ - اللطائف )

مات رجل من السعاة وقد بقي له شرط والناس يقولون له : مت اليوم شحى أبدا ، فانتبته بها .

ومن تفكر في المرتفعين في الهمم علم أنهم كهو من حيث الأهلية والأدمية ، غير أن حب البطالة والراحة جنيا عليه فأوثقاه فساروا وهو قاعد ، ولو حرك قدم العزم لوصل . قال الشاعر :

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنته تكن مثل ما أعجبك  
فليس على الجود والمكرمات إذا جتتها حاميا يحجبك

ومن نظر في أخبار السلف رأى عموم الفقهاء والعلماء وأكثر المشار إليهم بذلك من الموالى والضعفاء وأهل الحرف الدنية ، إلا أن الهمم أثرت فأثارت عن موطن العزة ، ولو تفكر أرباب الهمم الدنية في عواقبها وما يجيء عليهم لرأوا البطالة عدوا ، وإنما صحبوا دناءة الهمة تعجلا للراحة ، وما يلقونه من الحسرات على فوت الفضائل ، والسقوط من أعين الناس والإهانة لهم أعظم من كل كرب وشدة .

وما يناله أرباب التعب من الراحة في تعظيم الخلق لهم وارتفاع قدرهم في الدنيا قبل الآخرة ينسى مرارة كل نصب فكأنه ما تعب من استراح ، ولا استراح من تعب .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له . يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يارب مامربي بؤس قط ولا رأيت شدة » . ويبان هذا أن التعب ينقض وتبقى الراحة ، والراحة تذهب وتبقى الحسرة ، والمقام موسم ، والفوات معترض ، والاستلاب عاجل ، وفي بعض هذا إزعاج للتواني .

## الباب الخامس والعشرون

### في رياضة النفس

الأصل في الأمزجة الصحة ، والعلل طارئة ، وكل مولود يولد على الفطرة ، ويوضح ماقلناه : أن الرياضة لاتصلح إلا في نجيب ، والكودن لاتنفعه الرياضة ، والسبع وإن ربي صغيرا لا يترك الاقتراس إذا كبر ، وقد عرفت تلك الحكاية « ومن أنباك أن أباك ذيب » .

وأعلم أن في الإنسان قوى ثلاثة ، قوة ناطقة ، وقوة شهوانية ، وقوة غضبية ، فبئس لمن شرقه الله تعالى يجب العلم أن يعتنى بتكميل النفس الناطقة التي فضله الله تعالى بها على سائر الحيوانات ، وشارك بها الملائكة ، فيجعلها هي المسطرة على القوتين الأخرين ، أعنى الشهوانية والغضبية ، لتكون منزلتها في البدن بمنزلة الراكب للفرس ، فان الفارس يبتغى أن يكون هو المسلط على الفرس لاستعلائه ، فيمضى بها أين يشاء ، ويعقها إذا شاء .

فكذلك ينبغي أن تكون القوة الناطقة هي المستعلية على باقي القوى تستعملها كما تحب ، وتكفها حين تحب ، ومن كان كذلك استحق أن يسمى إنسانا حقيقة ، قال أفلاطون : الإنسان بالحقيقة من كانت نفسه الناطقة أقوى الأنفس ، لأن الشهوانية إذا أفرطت خرج الإنسان إلى طبع البهيمة ، ومن سبب هواه في مرعاه ، وجعل حبله على غاربه فقد خرج عن مركزه ، فصار أخس من البهائم ، لأن تلك تمنى بطباعها ، وهذا قد خالف طبعه .

ومتى أفرطت القوة الغضبية خرج الإنسان إلى أخلاق السباع والضواري ، فيبغى أن يروض نفسه بمخالفة الشهوانية ، ويكسر الغضبية ، ويتبع القوة الناطقة ، حتى يتشبه بالملائكة ، ويتحرز من عبودية الشهوة والغضب .

## فصل :

وأعم أن الرياضة للنفس تكون بالتلطف والتنقل من حال إلى حال ولا ينبغي أن يؤخذ أولاً بالعنف ولكن بالتلطف ثم يمزج الرغبة بالرهبة . ويعين على الرياضة صحبة الأخيار ، والبعد عن الأشرار ، ودراسة القرآن والأخبار ، وإجالة الفكر في الجنة والنار ، ومطالعة سير الحكماء والزهاد .

وقد كان بعض السلف يشتهي الحلواء فيعدها لنفسه فإذا صلى بالليل أطعمها ، وكان الثوري يأكل ما يشتهي ، ثم يقوم إلى الصباح ، ويقول : أطعم الزنجي ولده . وما زال المحققون يتلطفون بنفوسهم إلى أن ملكوها ، فقهروها .

قال بعض جيران مالك بن دينار : سمعته ليلة يقول لنفسه : هكذا فكوني ، فلما أصبحت قلت له : مامعك في الدار أحد ، فلن قلت ؟ قال : إن نفسي طلبت مني أدما وألحت فنعتها الطعام ثلاثة أيام . فلما كانت الليلة وقد انقضت الأيام وجدت كسرة يابسة فبادرت إليها فقلت لها : فني آتيك بخبر لين . فقالت : قنعت بهذه الكسرة . فقلت : هكذا فكوني .

وأعلم أنه إذا علمت منك النفس الجد جدت ، وإذا عرفت منك التكاسل طمعت فيك كما قال الشاعر :

ويعرف أخلاق الجواد جواده فيجده كرا ويرهقه ذعرا

ومن الرياضة لها محاسبتها على كل فعل وقول ، ومحاسبتها في كل تقصير وذنوب ، فإذا تمت رياضتها حمدت ما ذمت من تعبها . قال ثابت البناني : كابدت الليل عشرين سنة ، وتعمت به عشرين سنة ، وقال أبو يزيد ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي حتى سقطتها وهي تضحك . وفي هذا المعنى قول الشاعر :

ما زلت أضحك أبكي كلما نظرت إلى أن اختضبت أجفانها بدمي

وبعد هذا فلا ينبغي أن ينسى حقها ، فإن من حقها إعطاؤها حظوظها التي لا تقدر في مقصود الرياضة ، فإذا منعت مقاصدها في الجملة عمى القلب وتشتت الهم ، وتكلف التعبد .

واعلم أن قدر النفس عند الله تعالى أعظم من قدر العبادات ، ولذلك أباح الفطر للمسافر ، وإنما يعقل هذا العلماء .

## الباب السادس والعشرون

### في ذكر رياضة الأولاد

أقوم التقويم ما كان في الصغر ، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن ، كان رده صعبا ، قال الشاعر :

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت      ولا يلين إذا قومته الخشب  
قد ينفع الأدب الأحداث في مهل      وليس ينفع في ذى الشبية الأدب

ثم المواظبة على الرياضة أصل عظيم خصوصا في حق الصبيان ، فإن ذلك يفيدهم أن يصير الخير عادة . قال الشاعر :

لاتسه عن أدب الصغير      وإن شكا ألم التعب

واعلم أن الطيب ينظر إلى سن المعالج ومكانه وزمانه ، ثم يصف . فكذلك ينبغي أن تكون رياضة كل شخص على قدر حاله ، وأمانة فلاح الصبي وفساده تبين من طفولته ، فالنجيب منهم ينتبه بالتعلم ، والذي ليس بنجيب لا ينفعه التعلم ، كما لا يصير الهجين بالرياضة نجيبا .

وينبغي أن يتطلف بالصبي ، قال رجل لسفيان الثوري : نضرب أولادنا على الصلاة ؟ قال : بل بشرهم ، وكان زيد اليافي يقول للصبيان : من صلى منكم فله خمس جوزات ، وقال إبراهيم بن آدم : أى بنى ، إطلب الحديث فكلما سمعت حديثا فلك درهم ، فطلب الحديث على هذا .

فصل :

وليعلم الوالد أن الولد أمانة في عنقه ، فليجنبه قرناء السوء من الصغر ولا يعود إياهم ، وليلق إن الخير . فان قلبه فارغ يقبل ما يلقى إليه ، وليجيب إليه الحياء والسخاء ، وليلبسه الثياب البيض ، فان طلب الملون قاله : تلك ملابس النساء والمخانيث ، ولييادر بأخبار الصالحين ، وليجنبه أشعار الغزل ، لأنها بذور الفساد ، ولا يمنع من أشعار السخاء والشجاعة ليمجد وينجد ، فان أساء تغافل عن إساءته ، ولا يهتك هؤدبه ما بينه وبينه من الستر ، ولا يوبخ لإسرا ، ويمنع من كثرة الأكل والنوم ، ويعود الخشونة في المطعم والمفرش ، فانه أصبح لبدنه ، ويعالج بالرياضات الجسمانية كالمشي . ويؤدب بالنهي عن استدبار الناس ، والامتخاط بينهم والتناؤب .

فاذا علقت به عادة خبيثة بولع في ردعه عنها قبل أن تتمكن . ولا بأس بضربه إذا لم ينفع اللطف ، قال لقمان لابنه : يا بني ضرب الوالد للولد مثل السباد للزرع ، وإذا رآه عرما في صفه فليطف به فقد قال ابن عباس : عرامة الصبي زيادة في عقله العرامة : الشدة .

فصل :

وكان الحكماء يقولون : ابنك ريجاتتك سبع سنين ، وخادمك سبع سنين ، فان صار ابن أربع عشرة سنة فان أحسنت إليه فهو شريكك ، وإن أسأت إليه فهو عدوك .

ولا ينبغي أن يضرب بعد بلوغه ، ولا أن يساء إليه ، لأنه حينئذ يتمنى فقد الوالد ليستبدر أى نفسه ، ومن بلغ ستة عشر سنة ولم يصلح فبعيد صلاحه إلا أن الرفق متعين بالكل .

## الباب السابع والعشرون

في رياضة الزوجة ومداراتها

من المتعين المبالغة في النظر بهذا الباب ، فأصلح الأمور أن يتزوج الرجل البكر التي لم تعرف سواه ، فقد قالت الحكماء : البكر لك ، والثيب عليك ، إلا أنه من أعظم الغلط أن يتزوج الشيخ الكبير طفلة فانها تصير كالعدو . ولكنه يحبسها عن أغراضها ، ولا تقدر أن تفي بمرادها ، وهي تنفر عن الشيخ طبعاً . فان ابتلى الإنسان بذلك فليس بغضه عندها بحسن خلقه واحتماله ، وكثرة الإنفاق عليها ، وقد أمعنا الشرح لهذه الجملة في كتاب الشيب .

وينبغي أن يتزين لها كما يجب أن تتزين له ، ويسترجسه عنها ، فلا ترى منه إلا المستحسن ، وكذلك ينبغي لها أن تفعل .

### فصل :

ولا ينبغي للرجل أن يمزح مع المرأة فتطمع فيه طمعا يخرجها عن طاعته ، ولأن يسلم ماله إليها فيصير هو كالرهن في يدها ، فربما استغنت واستوثقت لنفسها ثم تركته ، وقد قال الله تعالى : ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ، بل ينبغي أن يمزح بنوع من الهيبة .

### فصل :

وأكثر العلاج في إصلاح المرأة منعها من محادثتها جنسياً ، ومن خروجها من بيتها وإطلاعها من ذروته ، وأن تكون عنده عجوز تؤدبها وتلقنها تعظيم الزوج وتعرفها حقوقه ، وتعظم قليل الإنفاق عندها ، وتكون كالحافظ ، فان عقل الصبي مأفون .

فصل :

وإن وجد الشيخ امرأة قد خرجت عن زمان الصبا، ولم تدخل في الكهولة كانت أصلح وأطيب لعيشه ، وأقل امتنانا عليه ، وأكثر توقيرا له .

فصل :

فأما الشاب فإنه يذل ولا يذل فإذا أراد أن يتمتع بالنساء فالرأى له ، إن كان له مكنة اشترى الجوارى الصغار ، فانهن لم يعرفن الغيرة ، وهى قليلة عندهن لموضع الملكة ، وقدرته على الاستبدال والبيع، ولتكن معهن حافظة ولتكن مع الحافظة حافظة .

فصل :

ومن رزق امرأة على مراداته فليهب مافات لما حصل ، فان الأصول إذا كانت محفوظة ، لم تذكر الفروع ، وكثرة النساء تحتاج إلى مؤنات عظام أقلهن حفظهن .

## الباب الثامن والعشرون

### في رياضة الأهل والماليك ومداراتهم

أعلم أن الأهل إذا رأوك قد فقتهم بمال أو جاه حسدوك ، ومقاطعتهم محرمة ، فالمدارة لازمة ، وذلك بالبر لهم مع كتمان بواطن الأحوال عنهم ، ومن أعظم الغلط حرمان بعضهم وإعطاء بعضهم ، فمن اختار ذلك فيجتهد في كتمان الأمر لئلا يشتري بالمنع البغض .

وأما الماليك فانهم مالكون على الحقيقة للمالكينهم ، لأن المطاعم والمشارب إليهم ، فينبغي أن يتطلف بهم لئلا يحتالوا على القتل . قال بزرجمهر : نحن ملوك على رعيتنا ، وخدمنا ملوك على أرواحنا ، ولا حيلة لنا في الاحتراز منهم ، فنحن نداريهم .



وليجعل الملك مع اللطف بهم هيبة ، إلا أن البر لهم يكون أغلب وأكثر في حق من يسلم إليهم الروح ، وهو صاحب المطعم والمشرب .

وأعلم أن الممالك وإن كانوا أهل ذكاء وفطنة يستتر منك عنهم شيء ، فربما احتلوا عليك ، وإن كانوا أهل غباوة لم تبلغ غرضا في استخدامهم ، لأنك تريد الشيء فلا يفهمون مرادك .

والصواب استخدام أهل الغفلة منهم في الدواخل ، وأهل الذكاء منهم خارج البيت ، فحينئذ تتم الأغراض .

### فصل :

ومن أعظم الغلط دخول المملوك المراهق إلى البيت خصوصا إن كان حسن الصورة وفي البيت نسوة ، فإن الشر لا يؤمن ، فإن سلمن من ميل إليه لم يسلم هو من ميل إليهن ، وكذلك من باب المخاطر ترك الولد البالغ بين الجوارى ومعلوم أن قوة الشهوة وجهل الصبا ينسيان مقدار الحرمة والتحريم ، فهذه أصول ينبغي أن يداوى بدوائها ولا تمهل ، فأنها تجر أمورا صعبة .

## الباب التاسع والعشرون

في معاشرة الناس ومداراتهم

لما كانت طباع الناس تختلف كانت مداراتهم لذلك صعبة . فأصلح ما استعمل العاقل العزلة عنهم ما أمكن ، فأنها راحة عظيمة ، فإذا اضطر إلى مخالطتهم خالطهم بالتلطف وإيفائهم حقوقهم وإهمال حقه عليهم ، والحلم عن جاهلهم والعفو عن ظالمهم ، وإيثار متكبرهم بالمجلس .

ومن أعظم ما يملكهم به السماح والعطاء ، فانه يسترق به من لم يكن ينقاد . وقد جاء في الحديث : مداراة الناس صدقة .

## فصل :

وإذا ابتلى العالم بمخالطة العوام فينبغي أن يلبس جُنة الحذر ، فإن أغراضهم مختلفة يرضى أحدهم ما يسخط الآخر ، ويغضب من الصواب لأنه يراه خطأ ، ولا يقبل من جهله أقوال العلماء .

فليبعد العالم عنهم ما استطاع ، فإن مخالطتهم تشينه وتنقص من مقداره في أعينهم ، فيهون عليه عندهم ، ولو رآه عاص يضطك ويأكل ، أو سمع أنه تزوج لم يبق له عنده قدر . فالحذر الحذر منهم ، فإنهم قتلة الأنبياء فإذا اضطر إلى مجالستهم فليقلل الكلام معهم وليتكلم بما لا تسلق لهم به عليه ، ولا فيه احتمال لما لا يصلح لحضابهم ، وبعد هذا فالسلامة منهم طريفة .

## الباب الثلاثون

### في ذكر السيرة الكاملة

علامة الكامل تربية القدرة له من الطفولة، وإعطائه الرأى التام والعقل الوافر من الصغر ، كما قال تعالى : « والقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ، .

وتحلق له همة عالية ، وشرف نفس ، فتحمله على طلب المعالي ، وتمنعه ركوب الدنيا ، فتراه يجب أن يكون رئيس الصبيان . فاذا ترعرع كان الأدب شعاره من غير تعلم والحياء لباسه من غير ترهيب .

وأقل الرياضة فيه يؤثر ، كما ينفع المسن الفولاذ ، ولا ينفع الحديد ، فاذا عقل واستدل على صانعه ، وعلم لماذا خلق ، ونظر بماذا خوطب ، وإلى أين يصير ، وما المراد منه ، شمر عن ساق وساق ، فيطلعه العلم على حقائق الأمور فيرى أن أفضل الأشياء ما يقربه من خالقه ، ثم يرى أن أقرب ما يقرب به العلم والعمل ، فيجتهد في إكمالها على غاية ما يطيق منهما بدنه وينهض النية والعزيمة بحمل الباقي .

وأنت ترى خلقا يقتصرون على بعض فنون العلم ، فهذا مع النحو جميع عمره ، وهذا مع الحديث طول دهره ، وهو يرى أن كل العلوم مقصود غير أنه لما علم أن العمر لا يسع الكل أخذ ما يحتاج إليه من الكل زاد المسيره ، ونهض للعمل بمقتضاه ، فتراه بتهيب العمر خوف أن يذهب وما نال المراد ، ولا يضيع لحظة في غير مهم ، وينافس نفسه في زمان المطعم والنوم ، لعله بقصر المدة كما قال الشاعر :

فاقضوا ما ربيكم عجلا إنما أعماركم سبفر من الأسفار  
وتراكمضوا خيل السباق وبادروا أن تسترد فإنهن عوارى

فهو أبدأ يجتهد في عمارة وقته ، ويقهر هواه لإصلاح أمره ، ويقطع من العلم مهمه ، فقلبه مشغول عن اللهو بتصحيح قصده ، وجوارحه مقبلة بالجد على طاعة ربه ، وقد اقتنع بمارزقة الله عن منن خلقه وعف عن أمواهم حفظا لعرضه ، فسادهم لغناه عنهم ، وأزال فسادهم بوعظه .

فإن عاملهم فبالإنصاف لم يأخذ عليهم بفضله ، وإن استشاروه اجتهد في نصيحهم على أن مشغول عن الكل بنفسه ، فتأهب للنقلة ، همه جمع رحله . يؤدي إلى كل لحظة حقها من الحراسة .

رزقنا الله وفاقهم ، ووهب لنا لحاقهم ، وألبسنا أخلاقهم ، بسعة فضله ، إنه سميع قريب من عبده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

جميع حقوق الطبع والنقل

محفوظة للناسر

١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

## الفهرس

صحيفة

الموضوع

صحيفة	الموضوع	مقدمة المحقق
٣		مع ابن الجوزى فى لطائفه - أثر الكتاب فى أعيان العلماء -
١٠		الفصل الأول : قوله تعالى : هو الأول والآخر . . .
١١		د الثانى : فى ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
١٣		د الثالث : فى آدم عليه السلام
١٦		د الرابع : فى وصف الربيع
١٨		د الخامس : إشارات عن سلمان الفارسى
٢١		د السادس : الجوع والسهر
٢٤		د السابع : فى التوبة
٢٥		د الثامن : فى النفس
٢٧		د التاسع : فى الدنيا
٣٠		د العاشر : فى الغفلة
٣١		د الحادى عشر : خوف السابقة
٣٢		د الثانى عشر : التضحية
٣٤		د الثالث عشر : حب الدنيا
٣٦		د الرابع عشر : فى العقل
٣٩		د الخامس عشر : فى قدر الإنسان
٤١		د السادس عشر : فى العبرة
٤٢		د السابع عشر : فى الإنسان والملائكة
٤٤		د الثامن عشر : فى العزيمة
٤٥		د التاسع عشر : فى وجوب اليقظة

صحيفة

الموضوع

٤٧	الفصل العشرون : الحياة والموت
٤٨	الحادى والعشرون : الموعدة
٤٩	الثانى : فى ذم الدنيا
٥١	الثالث : شماته العدو
٥٢	الرابع : فى الزهد
٥٤	الخامس : فى العلم والعمل
٥٥	السادس : فى الصبر
٥٧	السابع : النظر للعاقبة
٥٩	الثامن : فى النظر فيما لا يعين
٦٠	التاسع : فى اللطف الإلهى
٦١	الثلاثون : فى الفرار إلى الله
٦٢	الحادى والثلاثون : فى القدر
٦٣	الثانى : متاع الغرور
٦٤	الثالث : نصائح شتى
٦٦	الرابع : الصبر
٦٧	الخامس : القلب والنفس
٦٩	السادس : فى صدق الباطن
٧٠	السابع : الذكر
٧١	الثامن : الظاهر والباطن
٧٣	التاسع : حب الدنيا
٧٦	الأربعون : العمل للدنيا
٧٨	الحادى والأربعون : نصائح
٧٨	الثانى :
٨٠	الثالث : أوقات العارفين

صحيحة

الموضوع

- ٨٢ الفصل الرابع والأربعون : استفتاح العارفين للرزق  
٨٣ د الخامس د : سفر الإنسان  
٨٥ د السادس د : ما بعد الوعظ  
د السابع د : قرب الرحيل

كتاب الطب الروحاني

- ٩٢ مقدمة قبل الكتاب  
٩٣ فضل العقل  
٩٤ ذم الهوى  
٩٥ ما يراه العقل وما يراه الهوى  
٩٦ دفع العشق  
٩٨ دفع الشره  
١٠١ رفض رياسة الدنيا  
١٠٢ دفع اسخل  
١٠٣ النهى عن التبذير  
١٠٤ مقدار الاكتساب والإنفاق  
١٠٤ ذم الكذب  
١٠٥ دفع الحسد  
١٠٨ دفع الحقد  
١٠٩ دفع الغضب  
١١٢ دفع الكبر  
١١٤ دفع العجب  
١١٤ دفع الرياء  
١١٧ دفع فضول الفكر

صحيفة

الموضوع

١١٨

دفع فضول الحزن

١١٩

دفع فضول الغم

١٢١

دفع فضول الخوف

١٢٥

دفع فضول الفرح

١٢٦

دفع الكسل

١٢٨

تعريف الرجل عيوب نفسه

١٢٩

تنبيه الهمة الدينية

١٣١

رياضة النفس

١٣٣

رياضة الأولاد

١٣٥

رياضة الزوجة ومداراتها

١٣٦

رياضة الأهل والماليك ومداراتهم

١٣٧

معاشرة الناس ومداراتهم

١٣٨

السيرة الكاملة